AramcoWorld

الإبل والثقافة

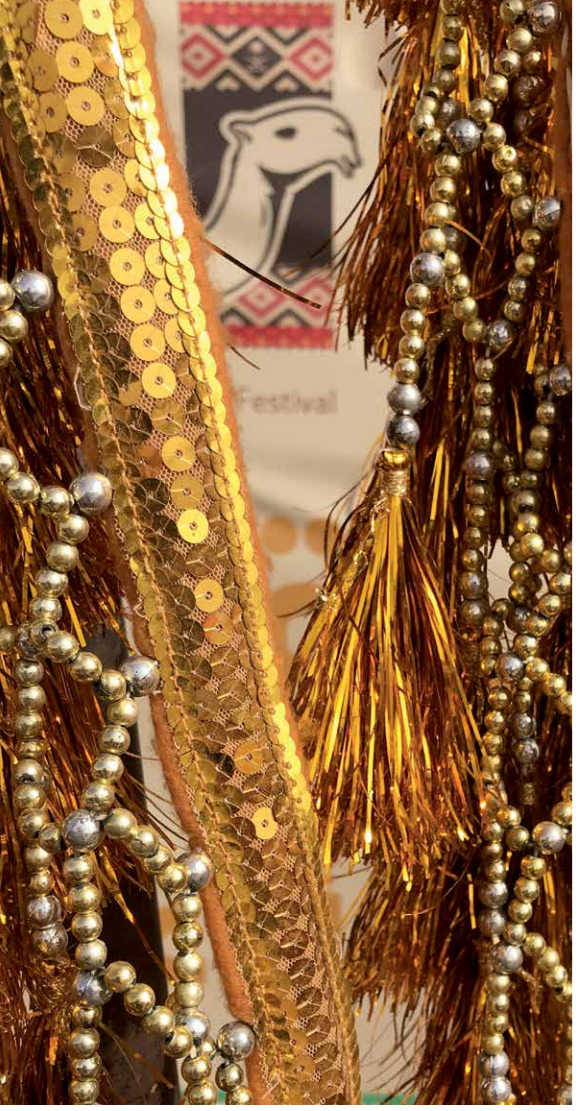

4 الهجرة الكبرى

بقلم **بيتر هاريجان**

منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة، بدأ البشر في تدجين الإبل، وبدأوا أحد أهم التطورات الحضارية في التاريخ، وهي التجارة بعيدة المدى عبر الأراضي القاحلة، من آسيا الوسطى إلى شمال أفريقيا. وفي ذلك الوقت، أصبحت الإبل راحلةً متمرسة، واستمرت رحلتها في الأراضي القاحلة لمدة 40 مليون عام - قادمة من أميركا الشمالية.

16 الإبل والثقافة — الاحتفاء بالإبل

بقلم **شايستا خان** | *تصوير* **حاتم عويضة**

يخوض ما يقرب من 40 ألف جمل كل عام غمار مسابقات المزاين والسرعة والطاعة خارج العاصمة الرياض في المملكة العربية السعودية، والتي يُحضِرها أصحابها إلى ميدان المنافسة عن طريق الشاحنات، أو سيرًا على الأقدام، أو منفردة أو في قوافل. معارض وعروض ثقافة الإبل تنطلق في مهرجان الملك عبد العزيز للإبل، وكل ذلك بسبب التعلق بهذا الحيوان الذي يعدّ رمزًا وطنيًا، وبهدف التعرف عليه أكثر.

22 دلِّل جملك

بقلم وتصوير **بيليز تيكيرلي**

هل تريد أن يكون جملك بارزًا ومتميزًا وسط القافلة؟ لا تشغل تفكيرك بقدرة الجمل على التحمل، فتلك طبيعته التي جُبِلَ عليها. السرعة؟ لا يحظى بها كل الجِمال. العنق الأنيقة والشفاه المتلألئة؟ كلاهما بسبب الجينات الوراثية بالتأكيد. إما أن يرثها الجمل فتكون فيه، وإلا فلا. لكن ماذا عن الإكسسوارات وأدوات الزينة؟ وماذا عن قصّ الوبر بطريقة فنية؟ إنه أمر متروك لك تمامًا.

الإبل والثقافة
AramcoWorld
aramcoworld.com

تنشر أرامكو السعودية مجلة *أرامكو وورلد* في نسختين ورقية وإلكترونية وتهدف لتعزيز التفاهم بين الثقافات عبر توسيع حدود المعرفة بتاريخ العالمين العربي والإسلامي وثقافاتهما وطبيعتهما الجغرافية وعلاقاتهما العالمية.

هذا العدد مُخصص للحديث عن الإبل، التي يرتبط تاريخها بآلاف السنين من الحضارة، والتي تحمل مستقبلاً واعدًا علميًا واقتصاديًا وثقافيًا. نُشر هذا العدد في طبعته الأولى في نوفمبر/ديسمبر 2018 باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية وتعديله من النسخة الأصلية.

صفحة الغلاف: أشعة الشمس مع الصباح تضيء خَلْفَ الإبل العربية في شرق المملكة العربية السعودية. عالميًا، يفوق عددُ الإبلِ العربية عددَ الإبلِ ذات السَنَامَيْن بنسبة أربعة إلى واحد، تصوير جاسون بلوس. **الغلاف الخلفي:** "جملان في صحراء سيناء"، رسم مارجوت فيلون، 1970 .ink and watercolor, c. الصورة مقدمة من auc Artisic Legacy Collection and auc Press.

aramco

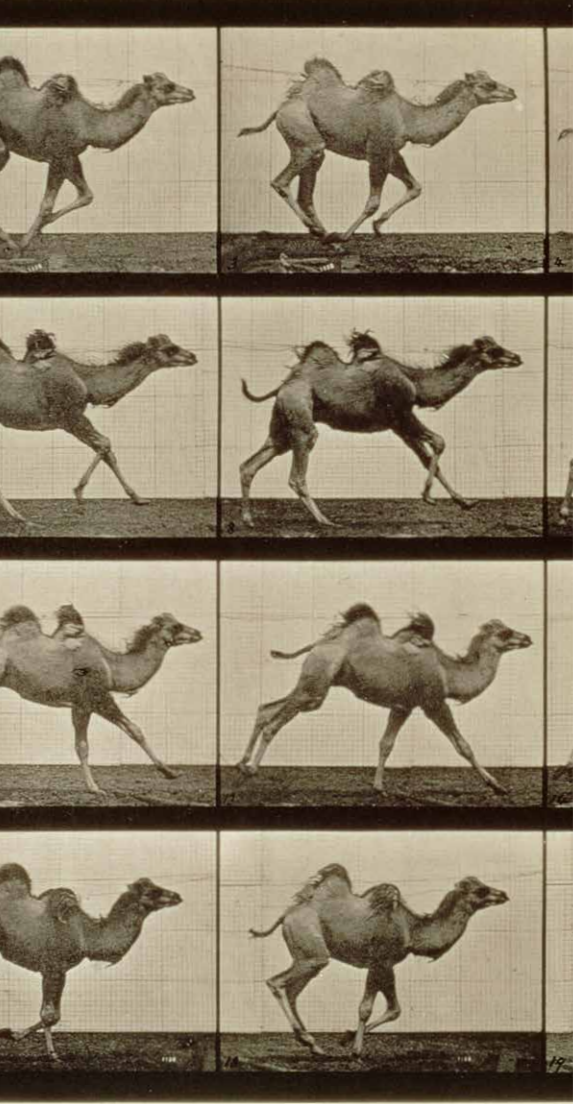

26 فن صناعة الرحال والأقتاب

بقلم **دوغ باوم** | *تصوير* **نِك كيلر**

منذ الأيام الأولى لتدجين الإبل، كان سنام الجمل - أو سناماه - يمثلان تحديًا لمن يريد أن يمتطي ظهره. تنوعت الأقتاب والرحال في تصميمها، سواء في أفريقيا أو شبه الجزيرة العربية أو الهند أو آسيا الوسطى، - فبعضها بسيط والآخر مصنوع بحرفية وأناقة - تعكسان المنفعة من ورائه وثقافة البلد نفسها (ويكون معظمها، مع الممارسة، مريحًا عند الركوب).

28 طهي لحم الحاشي

بقلم **سارة البسام** | *تصوير* **حاتم عويضة**

من المآدب البدوية إلى شاحنات طعام البرغر بلحم الحاشي، آن الأوان للاستمتاع بتذوق مأكولات قوافل الصحراء التي تضم حليب الإبل، وبيتزا بلحم الحاشي، وشرائح لحم الحاشي، ونكهات الآيس كريم، ومشروبات الطاقة، والشوكولاتة الفاخرة. الجمل: تُعد منتجاته أحد أسرع قطاعات المنتجات الاستهلاكية الصحية والتراثية نموًا في العالم.

36 الإبل والثقافة في صور

مقدمة بقلم **بيتر هاريجان**

أثبتت الإبل العربية ذات السنام الواحد، قدرتها الاستثنائية على التحمل في الصحراء حيث تكون أشعة الشمس ملتهبة، سواءٌ أكانت في قافلة أو بِقَتَب أو هودج أو تَحْمِل أشياء على ظهرها أو أثناء رعيها أو الحداء بشأنها أو الحداء لها؛ لكنّ الجمل ذو السَنَامَيْن لا يقل عن غيره من الإبل مكانةً وقدرةً. دع مَشاهد قوافل الإبل في جميع أنحاء العالم تنقلك بإيقاعها الجميل للاستمتاع بتجربة ركوب استثنائية.

2 موضوع ذو صلة 56 فعاليات خاصة بالإبل في جميع أنحاء العالم

الناشر: أرامكو السعودية

رئيس أرامكو السعودية، وكبير الإداريين التنفيذيين: أمين بن حسن الناصر | نائب الرئيس لشؤون الشركة: نبيل بن عبدالله الجامع

مدير عام دائرة الشؤون العامة: فهد بن خليفة الضبيب | مدير إدارة دعم الاتصال المؤسسي: عبدالعزيز بن علي السفلان

رئيس التحرير: ريتشارد دوتي | محرر الطبعة العربية: محمد أبو المكارم | مساعدا رئيس التحرير: آرثر كلارك، ألفا روبنسون

محرر وسائط الإعلام الرقمي: جوني هانسون | التوزيع: ميليسا ألتمان | الإدارة: مارلين رادلر | تصميم الطباعة: Graphic Engine Design Studio

تصميم الموقع الإلكتروني: eSiteful Corporation | الخطوط العربية: كميل حوًّا

الترجمة: Transperfect | تصميم الجهاز اللوحي وتطبيق الجوال: Herring Design

الاشتراكات: www.aramcoworld.com | هيئة التحرير: editor@aramcoservices.com

العنوان: أرامكو وورلد، صندوق البريد 5000، الظهران 31311، المملكة العربية السعودية

الرقم التسلسلي المعياري الدولي: 1530-5821

4: BARRY IVERSON / ALAMY; 26: DOUG BAUM; 28: JOHNNY HANSON; 36: EADWEARD MUYBRIDGE / BRIDGEMAN IMAGES (DETAIL)

موضوع ذو صلة

التفحيم الصباحي، الرماة، المملكة العربية السعودية

تصوير عبدالله سليمان الشثري

حائز على المركز الأول، في مسابقة صور مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل 2018.

لتجهيز الإبل لخوض غمار المنافسات، يتم تدريبها في مرحلة من مراحل التدريب تُسمى التفحيم. والتفحيم مرحلة من مراحل تدريب الهجن لإكسابها اللياقة البدنية اللازمة قبل مشاركتها في السباقات، والتفحيم الصباحي يعد الأفضل للإبل في حالة المشاركة المسائية بالسباقات، حيث تتنافس الإبل على مضمار يبلغ طوله ثمانية كيلومترات في صحراء الدهناء.

كانت هذه أول تجربة تصوير لي في سباق الهجن. وقد غادرت منزلي بعد منتصف الليل للوصول إلى الموقع عند الفجر. ومع شروق الشمس، كان هناك بعض الضباب بالقرب من الأرض، بينما كان هذا القطيع يثير الغبار أيضًا. بالنسبة لي، تُظهِر هذه الصورة بعضًا من الروح الهادئة التي تُعد أيضًا جزءًا من مكانة الإبل في التراث العربي.

عبدالله سليمان الشثري

@1alshathri

www.alaiblfestival.com

الهجرة الكبرى

بقلم **بيتر هاريجان**

تصوير **ميسا شوماخر**

الجفون الثلاثية والرموش الطويلة والخياشيم التي يمكن أن تغلق بالكامل ليست سوى جانب من التكيُّفات، على مدى ملايين السنين، التي سمحت لهذه الإبل في شرق المملكة العربية السعودية بمواصلة الحياة دون اكتراث بالعواصف الرملية.

أول مرة رأيت فيها جملاً كانت في الصحراء المفتوحة

تم اصطحابي لزيارة قطيع الرعي وسط الرمال بين الرياض وحائل في المملكة العربية السعودية. بقيت على بُعد مسافة قصيرة من القطيع، واقترب منّي جمل فضولي (قيل لي إنه "ناقة"، وهي أنثى الجمل) تسير بتمهل وفي قدمها حبل. وعندما اقتربت، ركبت على عنقها ذي اللون الأسمر الخفيف، الذي كان على شكل قوس كبير، حيث وَضَعت رأسها أمامي تمامًا، وعدّلت وضعية جلوسي عليها بفضل ما لديها من ميزات، كي أتفادى ردود فعلها الغريبة والمضحكة إذا لم يكن الشخص بارعًا في ركوب الإبل: عينان بنيتان داكنتان؛ آذان صغيرة عمودية؛ خياشيم سديلية ضخمة؛ شفة علوية مشقوقة وشفة سفلية متدلية. وقد لاحظت بالكاد السنام، أو الساقين، والتي يمكن أن تبدو طويلة ونحيلة بشكل غير متناسب، مثل الزرافة إلى حد ما.

لكنني مدحت تلك الناقة قائلًا: لقد كانت فضولية وتتمتع بالثقة. كانت عيناها تشبهان عيون الخيول - إلا أنهما تتجهان نحو الأسفل - ولها ثلاثة جفون طويلة ورموش تشبه المِجَس لتحميها من أشعة الشمس والرمال، وتأمُّلها مصدر للروعة والدهشة. بين الحين والآخر، كان جفنها الأعمق يتحرك في الجوانب مثل ممسحة الزجاج الأمامي. وهذه كانت بداية تقديري الطويل لعجائب تكيّف الإبل.

في رحلة أخرى إلى الصحراء، تعلمت شيئًا عن حليب الإبل. كنا في فصل الربيع، وكنت بصحبة سعوديين من هواة الإبل. كنا نسير على طريق وعرة بلا هدف لمدة ثلاثة أيام، حول الكثبان الرملية، بحثًا عن قطعان الإبل. وقد رحب البدو أصحاب القطيع بنا ترحيبًا حارًا. وقد عبَّرنا عن إعجابنا بصغار الإبل وتحدثنا عن الأمطار والرعي. لقد قدموا لنا حليب الإبل الطازج، الدافئ والقشدي، في قُرَب وأوعية. وكانت كل رشفة منه طيبة المذاق. وأوضح مضيفونا أن حليب الإبل، مثل العسل، يحتوي على ما يسميه الفرنسيون مركبات طبيعية: المركبات العطرية في النباتات البرية التي ترعى عليها الإبل تختلف من منطقة إلى أخرى، وهي تذوب في الدهون، مما يعني أنها تؤثر على نكهة الحليب.

كما رأيت الأُلفة بين الراعي والإبل، لقد كانت أُلفة حقيقية تمتاز بالذكاء والخصوصية. ولقد أخضعْتُ أحد الرعاة للاختبار وكان يمتلك قطيعًا من 53 جملًا، سائلًا إيّاه أن يتعرف على الجمل الذي ترك أثرًا معينًا على الرمال. بالنسبة ليّ، بدا كما أنه أي جمل من آلاف الجمال قد يكون ترك هذا الأثر. لقد تفحص الإبل وسار باتجاه جمل بدا لي غير مميّز، باستثناء طوق صغير كنت أخفيه على الناقة عندما صَنَعَتِ الأخيرةُ الأثر أو البصمة على الرمال. وقال "هذه *الرباع*"، وهي أنثى الجمل في عمر ست سنواتٍ، وأطلق عليها اسم *ريما*. وبالطبع كانت تلك بصمة قدمها وأثرها. "أنا أحب الإبل، وأعرف كل واحد منها مثل عائلتي تمامًا". وكما يفعل البدو دائمًا منذ آلاف السنين، فقد أطلق الراعي على كل واحدة من الجمال الإناث اسمًا خاصًا بها، ويعتمد الاسم على سمات حقيقية أو خيالية أو ما بينهما.

تعد أسواق الإبل داخل المدينة أقل هدوءًا. ومنذ حوالي 10 سنواتٍ، رافقت مجموعة من الزوّار الدوليين إلى واحد من أكبر الأسواق في المملكة العربية السعودية، في الضواحي الشمالية لمدينة الرياض. إن وجود المئات من حظائر الحيوانات الممتدة على مدى عدة كيلومترات مربعة، صنع تركيزًا واسعًا متعدد الحواس ومدعومًا بالدُعابة، ابتداءً من المالكين وصولًا إلى الهواة ومربي الحيوانات المتخصصين. استمتع الزوّار بما هو جديد ورائع جدًا، أما بالنسبة لسوزان هوبيش، فقد اعتمدت تجربتها على الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك. لقد ألهمتها التجربة أن تعقد عزمها على الحصول على زوج الإبل العربي السعودي الأصيل لتربيتهما في مزرعتها في كاليفورنيا. وسأعود إلى هذه القصة لاحقًا.

لقد شملت رحلة بحثها وكذلك كل تجاربي الخاصة *الجَمَليّات (الإبِليّات)* العربية، أي الجمل أو الإبل العربي، أو بمصطلح أكثر تفصيلًا، الجمل أحادي السنام. ولا يوجد اليوم سوى نوعين آخرين من جنس *الجَمَليّات (الإبِليّات)*، وكلاهما ثنائي السنام. يعود موطن *الجمل ذو السَنَامَيْن*، *والجمل الوحشي*، والجمل البري ذو السَنَامَيْن، إلى سهوب آسيا الوسطى، وهو نوع مهدد بالانقراض، يعيش في جيوب شمال غرب الصين وصحراء غوبي في منغوليا.

ويبلغ عدد *الإبل* مجتمعة في جميع أنحاء العالم حوالي 30 مليون رأس. أكثر من 90 بالمئة من هذه، أي حوالي 27 مليون، هي من الإبل العربي، والثلاثة ملايين المتبقية تقريبًا عبارة عن إبل ثنائية السنام، حيث لا يوجد بالكاد سوى 1000 جمل من الإبل البري. (في أمريكا الجنوبية، حيث روابط التدجين صغيرة جدًا وبعيدة عنها للغاية، يبلغ عدد اللاما والألباكا حوالي ثمانية ملايين).

ولا يعيش أحد منها اليوم، لا أحد على الإطلاق، في موطنه الأصلي. الإبل هي نتاج واحدة من أعظم الهجرات التي عرفتها مملكة الحيوان على الإطلاق.

> **"يُعيد الجمل إلى الأذهان كل ما هو ذو أهمية في الحياة الصحراوية. إذ إنه يتمتع بصبر غير محدود، وهو من الحيوانات الأكثر قوة والأكثر رقة"**
>
> — سعد الصويان

يَعرِف الدكتور سعد الصويان البدو في شمال المملكة العربية السعودية وإبلهم معرفةً جيدةً. فقد كرّس أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة الملك سعود في الرياض، عقودًا لدراسة الروايات الشفوية عن الصحراء والإثنوغرافيا والموروثات الثقافية التي نشأت وسط صحراء النفود الكبير وما حولها.

يقول الدكتور سعد: "يُعيد الجمل إلى الأذهان كل ما هو ذو أهمية في الحياة الصحراوية. إذ إنه يتمتع بصبر غير محدود، وهو من الحيوانات الأكثر قوة والأكثر رقة". ويضيف قائلًا: "كل ما له علاقة بالحب والتعلق والتعبيرات والمفردات والأعراف يتم استعارتها من وصفات الإبل".

ويقدم مثالًا، حيث يجلس في مكتبته الخاصة المغطاة بألواح خشبية في الرياض ومحاطًا بكتب ومحفوظات من مئات الساعات من التسجيلات مع بدو الصحراء، قائلًا: الكلمة العربية حنين تعني "التوق إلى شيء ما. وهي مستعارة من الصوت المميز الذي تُطلِقه الإبل عندما تتوق إلى صغيرها. إذ إن ارتباط الإبل بصغيرها قوي جدًا". ويواصل الدكتور الصويان قائلًا: "وفي الوقت نفسه، إن الإبل هي الأقوى والأكثر تحملًا والأكثر صبرًا، ولذا، غالبًا ما تتم مقارنة الشخص الشريف والنبيل بالإبل، إذ يتم تشبيه المسؤوليات الجسام في الحياة أو القيادة، لا سيما إذا كان المرء زعيمًا قبليًا، بالأحمال الثقيلة التي يحملها الجمل على ظهره صامدًا صابرًا".

تُظهر تسجيلات ودراسات الدكتور الصويان العلاقة الحميمة والتعايش بين الجمل العربي والبشر، تلك العلاقة التي تطورت على مدى 4000 سنة، منذ أن تم تدجين الإبل لأول مرة، وعلى الأرجح في مكان ما في جنوب شبه الجزيرة العربية. وظهرت معها مجموعة معقدة للغاية ومتطورة باستمرار وغامضة من المصطلحات عن الجمل العربي. هذه ليست مجرد كلمات واستعارات فردية. يوضح الدكتور الصويان أن الإبل أصبحت حرفيًا وسيلة لنقل التقاليد شفهيًا. وتأتي الأشعار - *والقصائد* - كنوع من التعلق والتفاني الغنائي في وصف الجمل الذي يحمل الشاعر وأشعاره على مدى مسافات بعيدة. ونتيجةً لذلك، تنتشر الإبل العربية في التقاليد العربية الشفهية، ويتم تزويد الشِعْر بالصور والاستعارة والمجاز والسمات والأفكار الرئيسة التي تشير إليها جميعًا.

كان المراقب والمدوِّن الآخر لهذه الصورة الإثنوغرافية الشاملة هو الويس موسيل التشيكي، أستاذ الدراسات الشرقية، والكاتب والرسّام والمصوّر الفوتوغرافي ورسّام الخرائط في بداية القرن العشرين. وقد أمضى عدة سنواتٍ منذ عام 1914 في استكشاف شمال شبه الجزيرة العربية لوضع دليل بأسماء الأماكن والمفردات والتاريخ. كما كتب الحكايات والأغاني والقصائد البدوية. ويتضمن فصل في كتابه التاريخي The Manners and Customs of the Rwala Bedouins - أو أخلاق الرولة البدو وعاداتهم - والذي نشرته الجمعية الجغرافية الأميركية في عام 1928، تفاصيل حول الدلالات المتعلقة بالجمل.

المصطلح العربي العام الذي يستخدم عادةً للجمل هو الإبل. وتشير كلمة جمل، التي تستخدم أحيانًا بالعامية، بشكل صارم إلى ذكر الجمل الذي يتراوح عمره بين 6 و20 عامًا. يبدو أن بنية الجذر الثلاثية لجذر (ج-م-ل) هي نفسها كلمة الجَمَال العربية، لكن لا يوجد رابط لغوي واضح؛ وكذلك الكلمتان: "الجمل" و"camel"، فإن إيقاعهما متشابه تقريبًا - وقد تشتركان في الجذور البعيدة في الفينيقية، والتي أعطت اليونانية kamelos واللاتينية الإبل. في اللغة العربية، يُشار للجمل المخصص للركوب من الذكور أو الإناث باسم *ذلول*. ويعد النوع الأكثر تفضيلًا من الإبل هو *الناقة*، وهي أنثى الجمل، ومخصصة للركوب وتبلغ من العمر خمس سنواتٍ - وتُعتبر عمومًا الأسرع. ونتيجةً لذلك، يلمِّح الشعر

صاحب جمل يقف مع ابنه وجمله بالقرب من الرياض في المملكة العربية السعودية. للإبل موقع محوري وعميق في الثقافات من شمال أفريقيا إلى آسيا الوسطى، حتى إن المستشرق جوزيف فريهر فون هامر برجشتال من القرن التاسع عشر سجل 5774 كلمة عربية تتعلق بالإبل.

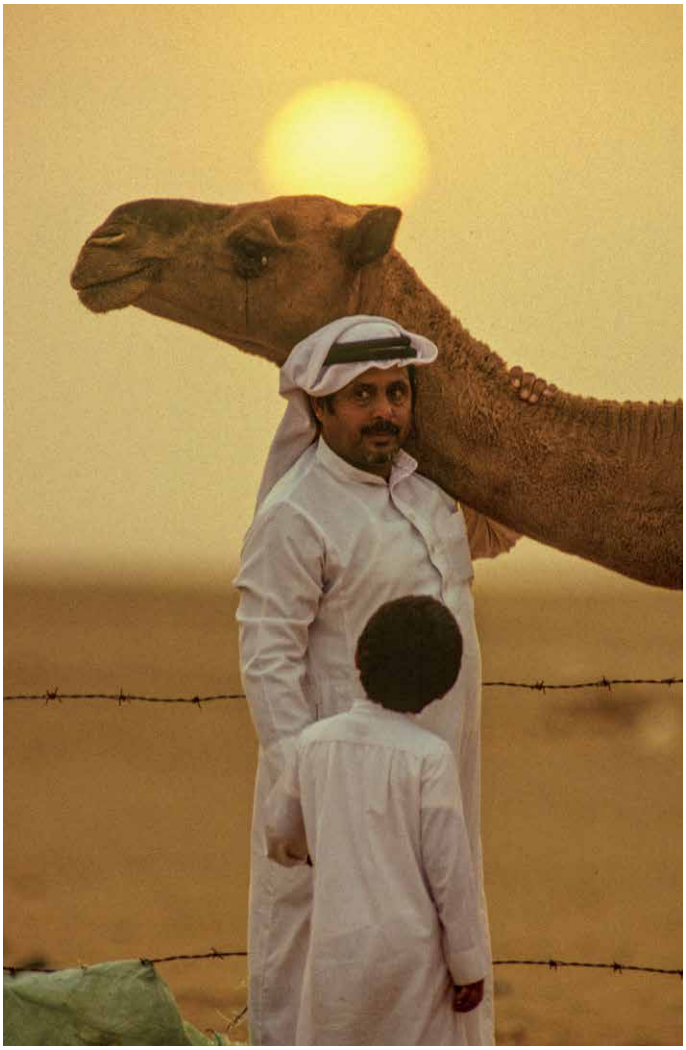

BARRY IVERSON / ALAMY; OPPOSITE: RICHARD DOUGHTY; PREVIOUS SPREAD: JASON PLEWS

العربي في كثير من الأحيان إلى الناقة في كثير من أبيات الشعر الجزلة والمتألقة.

وقد أشار موسيل في كتابه أنّه عندما ينمو الجمل الصغير، فإنه يحمل اسمًا في كل مرحلة من مراحل نموه - تمامًا مثلما ينتقل الإنسان من مرحلة الرضاعة ثم مرحلة المشي إلى مرحلة المراهقة، ولكن بمزيدٍ من التفصيل: من الرضاعة إلى بلوغ العام الثالث، يوجد خمسة أسماء. عندما يبلغ الجمل سن أربع سنوات، يُطلق عليه اسم الجذع؛ وعندما يبلغ سن خمس سنواتٍ، يُطلق عليه الثني، أي "تغيير الأسنان"، حيث تسقط الثنايا ويحل محلها ثنايا جديدة. وهكذا، إلى أن تبلغ أنثى الجمل سن 20 عامًا تُصبح فطرًا إلى أن تموت، ويحدث ذلك في العموم في عمر ما بين 30 و40 عامًا.

وبقدر ما كان موسيل دقيقًا في كتابه، إلا أن الجوانب الكثيرة من الحياة اليومية وتقاليد البدو الرُحّل فاقت قدرته على تسجيل كل كلمة وتفاصيل تتعلق بالإبل. لقد استقصى بتعمق في أقتاب الإبل، والجمال الضالة، وقيمة الجمال واستخداماتها، وسقي الإبل، ورعيها، وأغانيها، والشرب من كرش الإبل، وأمراض الإبل. كما راقب وكتب أيضًا عن الحصان العربي، والنباتات والحيوانات الصحراوية، والخيمة والتخييم، والنظام الغذائي، واللباس، والأشعار، والزواج، والعادات الأخرى.

لكن عندما يتعلق الأمر بسرد المفردات الهائلة العدد التي ربطها العرب بالإبل، فقد كان المستشرق النمساوي قد سبق وذهب إلى أبعد من ذلك منذ حوالي قرنٍ كامل. إذ جمع المستشرق جوزيف فون هامر - برجشتال 5774 كلمة عن الجمل العربي وخصائصها وأدواتها ذات الصلة. وشمل ذلك ما لا يقل عن 30 كلمة تشير إلى الحليب.

يقول المثل الهندي: "كن مثل الجمل، تَحمِل الحلوى وتتغذى على الأشواك"، الأمر الذي يذكّر بدور الجمال التي مهدت طريق الحرير لجعل التبادل التجاري ممكنًا عبر الصحاري الشاسعة وسهوب وجبال آسيا. غالبًا ما كان يتم استخدام الإبل ثنائية السنام في هذه التجارة، وفي حين أن معظم الإبل ذوي سنامين مستأنسة ، إلا أن هناك حوالي 1000 رأس من الجمل الوحشي، الإبل البري المهددة بالانقراض، ما زالت في شمال غرب الصين وفي صحراء غوبي في منغوليا. يعيش العديد منهم في محمية أُنشئت عام 2003 بالقرب من لوب نور، الصين، حيث تم التقاط هذه الصورة.

كانَ علم اللسانيّات هو الذي ساعد في إقناع جون هير المدافع عن الإبل في أوائل تسعينيات القرن الماضي، بأن الجمل البري، الذي كان يُعتقد منذ فترة طويلة أنه إما مجموعة متنوعة من الجمل ذي السَنَامَيْن أو نسل الجمل ذو السَنَامَيْن المستأنس، هو في الواقع مميّز من حيث الجينات الوراثية. ومن خلال العمل بين صحراء تكلامكان وكوروكاجت في شمال غرب الصين، اكتشف جون هير أن اللغة المنغولية، مثل اللغة العربية، غنية بمصطلحات عن الإبل. يتبين أن بعض اللهجات تشترك في كلمة محددة للإبل البري: حيث إن الكلمة المنغولية havtagai أي "مسطح"، مشتقة من الكلمة havtag، والتي تشير إلى رأس الجمل المسطح كسمة مميزة. يشير هذا إلى أنه تم تعريفه منذ فترة طويلة على أنه متميز عن الجمل ذو السَنَامَيْن المستأنس. في عام 2008، أظهر تسلسل الجينات بشكل قاطع أن الجمل البري ليس هو الجمل ذو السَنَامَيْن الأليف ولا الشارد عن طريق الحرير، والأهم من ذلك، ليس سلف الجمل ذي السنامين.

هذا يعني ليس فقط السلف البري للجمل العربي الذي سار نحو الانقراض، بل أيضًا الجمل ذو السَنَامَيْن المستأنس. ما تزال قصصها عن الأصول والتدجين تتكشف حتى الآن، وبسرعةٍ أكبر من أي وقت مضى، في مواقع الحفر والمختبرات من الشرق الأوسط إلى آسيا وأوروبا والأميركيتين.

في الواقع الجمل العربي والجمل ذو السَنَامَيْن هما آخر فصيلة مستأنسة من الثدييات. كانت الكلاب والأبقار والأغنام والماعز في حظيرة الإنسان قبل حوالي 9000 سنة؛ تم جلب الأحصنة والحمير إلى الحظيرة منذ 5000 إلى 5500 سنة. لم تكن الإبل منتشرة الاستخدام على نطاق واسع حتى قبل 3000 إلى 4000 سنة، وبشكلٍ عام، يُعرف القليل عن الإبل بالنسبة لغيرها من الحيوانات الأليفة. من المحتمل أن العملية بدأت بالصيد، قبل احتجاز الإبل لاحقًا ورعيها للحليب وكذلك اللحم، وتليها وظيفتها في نهاية المطاف في عملية النقل، وفي النهاية ركوبها. هذه هي الخطوة الأخيرة التي كان لها تأثير عميق على تاريخ البشرية في منطقة الشرق الأوسط وآسيا.

يصرّح فيصل المذن، مدير مركز أبحاث الإبل في جامعة الملك فيصل في الهفوف، بالمملكة العربية السعودية، الذي يضطلع بالحفاظ على جينات الإبل وتحسينها، قائلًا: "الإبل هي أكبر الحيوانات المستأنسة وأصعبها في إدارتها والتعامل معها. فعليك أن تكون قويًا للتعامل معها. إذ إن الجمل سيء المزاج يمكن أن يركل بكل قدم بسرعة وبشكل غير متوقع في كل الاتجاهات. كما أن

انقراض الأسلاف البرية للإبل العربية والإبل ثنائية السنام أمرٌ حديث نسبيًا، خاصةً عند مقارنتها بقصة أجدادها الأطول. من الناحية البيولوجية، تنتمي إبل اليوم إلى عائلة تعرف باسم الجَمَليّات، أو الإبْلِيّات: حيوانات عاشبة (عواشب) مزدوجة الأصابع وشفتها العليا مشقوقة، ولا يشتمل أعضاؤها على اللاما والألبكة المستأنسة فحسب، بل أيضًا حيوانات الغوناق والفِكّونة البرية في أمريكا الجنوبية".

تم اكتشاف بقايا أسلاف الجَمَليّات (الإبْلِيّات) في عام 1848 بواسطة صياد فراء يعمل في النهر الأبيض في ولاية داكوتا الجنوبية في وسط الولايات المتحدة. قام علماء الحفريات بتأريخ اكتشافه قبل 35 مليون سنة، في العصر الإيوسيني، عندما كانت تلك المنطقة تتألف من غابات بصورة عامة. وقد أطلقوا على هذا الحيوان العاشب بـپُبرُثيريوم. كان حجمها كحجم الماعز، فتشبه بذلك إلى حد بعيد حجم اللاما اليوم، وقد تطورت من مخلوق أصغر حجمًا إلى أرنب كبير الحجم، والاسم العلمي هو بروتيلوبس.

منذ حوالي 34 مليون سنة، أثناء الانتقال من العصر الأيوسيني إلى العصر الأوليغوسيني، أصبح المناخ في أمريكا الشمالية أكثر برودةً وجفافًا. بدأت الجَمَليّات (الإبْلِيّات) في التنويع إلى Stenomylus الذي يشبه الغزال، وFloridatragulines خطم الأنف، وMiolabines قصير الساق، وAepycamelines طويل العنق، وOxydactylus الذي يشبه الزرافة. كانت Gigantocamelus وTitanotylopus الأثقل وزنًا من تلك الفصيلة. قبل 20 مليون سنة، ازدهر حوالي 13 جنسًا من الإبل في جميع أنحاء أمريكا الشمالية. وقبل أربعة ملايين سنة، كانت الإبل هي المخلوقات ذوات أكبر أصابع (مزدوجات الأصابع) على الإطلاق في القارة.

تشير الدراسات الحديثة لعينات الحمض النووي المأخوذة من عظام الجَمَليّات (الإبْلِيّات) إلى أنه، قبل حوالي 25 مليون سنة، ظهرت قبيلتان من عائلة الإبل: قبيلة اللاماوية، التي تفرقت جنوبًا في نهاية المطاف لتصبح الجَمَليّات (الإبْلِيّات) في أمريكا الجنوبية اليوم، وقبيلة الجملاوية، التي انتقلت شمالًا تدريجيًا.

تعتمد هذه الاستنتاجات على الاكتشافات مثل اكتشاف الحفرية پرُكَمِلُس، والتي تبين أنها الجد القديم الأكثر مباشرةً لكل من الجمل العربي والجمل ذو السَنَامَيْن. وقد تم اكتشاف هذه الحفريات في عام 1913 في إقليم يوكون في كندا عن طريق المنقب عن الذهب كلوندايك، مما كشف أن الإبل كانت قد انتقلت بعيدًا إلى الشمال.

يقول غرانت زازولا، رئيس علم الحفريات في حكومة إقليم يوكون: "مناجم الذهب هذه هي "منجم ذهب" حقيقي للتعرف على المناخ والجيولوجيا والحيوانات والنباتات التي عاشت عندما كانت أمريكا الشمالية مرتبطة بآسيا عن طريق البر التي أصبحت الآن مغمورة تحت مضيق بيرينغ. وظهر "الجسر البري" لأول مرة منذ حوالي ثمانية ملايين سنة، وبقي حتى غُمِرَ مرةً أخرى قبل 14500 سنة. ويبقى الكثير غير معروف حول التبادلات البيولوجية التي سهّلها (بما في ذلك، بشكل خاص، الهجرات البشرية التي استقرت في الأميركيتين)".

يقول زازولا، الذي يقضي الصيف في الحفر في منطقة كلوندايك: "الإبل تتصدر قائمة أمنياتي بالنسبة إلى الحفريات القديمة الآن". "إنها نادرة بشكل لا يصدق. أعتقد أن هناك حوالي 50 عظمة معروفة تم العثور عليها في ألاسكا أو يوكون، وهذا مقارنة بعشراتٍ الآلاف من المَامُوثات المغطاة بالصوف في العصر الجليدي الصوفي والبيسون والخيول".

الإبل بأنواعها هي آخر الثدييات المستأنسة وفقًا للدراسات التي أُجريت في هذا المجال

حتى في أقصى الشمال والشرق، ومن عام 2006 إلى عام 2009، اكتشف فريق بحث بقيادة المتحف الكندي للطبيعة 30 قطعةً من الإبل في جزيرة إليسمير في مقاطعة نونافوت. قام العلماء بتأريخ البقايا إلى 3.5 ملايين سنة، منتصف العصر البليوسيني، وهي مرحلة عالمية دافئة عندما كانت المنطقة مغطاة بالغابات الشمالية. أكدت بصمة الكولاجين، وهي تقنية متقدمة في جامعة مانشستر في إنجلترا، أن العظام تنتمي إلى الجَمَليّات (الإبْلِيّات).

توضح ناتاليا ريبزينسكي، عالمة الحفريات في المتحف الكندي للطبيعة والتي قادت العديد من الرحلات الميدانية في القطب الشمالي، قائلةً "هذا

YUAN LEI / COURTESY JOHN HARE

الهجرة الكبرى

تشتهر عائلة الجَمَليّات (الإبْلِيّات)، التي تعود أصولها إلى أمريكا الشمالية، اليوم بعيشها في المناطق الحارّة القاحلة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، بالإضافة إلى سهوب وصحاري آسيا. السمات الجسدية المميِّزة للإبل اليوم - أحادية أو ثنائية السنام، أقدام مبطنة عريضة، وعينان محميتان جيدًا - تكون قد تطورت أولاً كتكيفٍ مع فصول الشتاء في أمريكا الشمالية.

الجسر البري
8 ملايين سنة - 14,500 سنة

منذ حوالي 6 ملايين سنة، بَدأت الجَمَليّات (الإبْلِيّات) في التحرك غربًا عبر الأرض التي تربط آسيا وأمريكا الشمالية.

قبيلة الجملاوية

أسلاف الجَمَليّات (الإبْلِيّات)

قبيلة اللاماوية

منذ حوالي 3 ملايين سنة، دخلت جَمَليّات (إبْلِيّات) قبيلة اللاماوية إلى أمريكا الجنوبية.

الإبل الأولى

تراوحت الجَمَليّات (الإبْلِيّات) الأولى المعروفة، بروتيلوبس وبُربُرتهِرُم، في أحجام مماثلة للأرانب والماعز المعاصرة. ظهرت قبل حوالي 40 مليون سنة في السافانا في أمريكا الشمالية. وعلى مدى العشرين مليون سنة التي تلت ذلك، نما أكثر من 12 من أعضاء الأسلاف من عائلة الجَمَليّات (الإبْلِيّات)، حيث طورت أجسادًا أكبر وأرجلًا أطول وأعناقًا طويلة لأكل النباتات العالية بشكل أفضل. وقد نما بعضها، مثل مِگَكَمِلُس، حتى أصبحت أطول من المَامُوثات المغطاة بالصوف في ذلك العصر. (في وقت لاحق، في الشرق الأوسط، قد يكون الجمل السوري أكبر من ذلك). ومنذ حوالي 25 مليون سنة، انقسمت قبيلتان من الجَمَليّات (الإبْلِيّات): هاجرت قبيلة الجملاوية تدريجيًا إلى الشمال والغرب، واتجهت قبيلة اللاماوية (اللاما) نحو الجنوب.

الجمل العربي
الجمل ذو السَنَامَيْن
الجمل ذو السَنَامَيْن البري
اللاما
الفِكّونة
الغوناق
الألباكا

كَمِلُپس
4 ملايين سنة — 10 آلاف سنة

مِگَكَمِلُس
10 — 5 ملايين سنة

پيكَمِلُس
21 — 5 مليون سنة

پرُكَمِلُس
22 — 5 مليون سنة

پُبرُتهِرُم
40 — 32 مليون سنة

ADDITIONAL RESEARCH SUPPORT: NICHOLAS J CZAPLEWSKI; RICK E. OTTO; LULU SKIDMORE

عدد الإبل في العالم اليوم يبلغ حوالي 30 مليون رأس: 27 مليون منها من الجمل العربي؛ وثلاثة ملايين من الجمل ذو السَنَامَيْن؛ ومنها حوالي 1000 فقط من الجمل البري ذو السَنَامَيْن.

بدأ تدجين الإبل في الفترة ما بين 3000 و4000 سنة مضت - بعد الخيول بقليل - في كلٍ من شبه الجزيرة العربية وغرب آسيا.

يعيش حوالي 300 ألف رأس من الجمل العربي البري الآن في المناطق الريفية في أستراليا. وهي منحدرة من الإبل المستوردة من الهند في القرن التاسع عشر.

المسافر الأكثر قدرةً على التكيُّف في العالم؟

تكيّفت الإبل مع بعض البيئات الأكثر تطلبًا على سطح الأرض. يستطيع كل من الجمل العربي والجمل ذو السَنَامَيْن السير أيامًا، حتى أسابيع، من دون ماء. هذا بفضل التكيُّف في الفسيولوجيا، وجهاز دوران الدم، والجهاز الهضمي، وقدرته على ترك درجة حرارة جسمه تتغير أكثر من أي حيوان ثديي آخر. وقد ساعدت هذه الصفات الإبل أيضًا على الابتعاد عن الحيوانات المفترسة.

دوران الدم

خلايا الدم التي يمكن أن تصل إلى ثلاثة أضعاف حجمها الطبيعي هي التي تسمح للجمل بشرب الكثير من الماء. نظرًا لأنها تستخدم الماء، فإن الخلايا نفسها تضيق للاستمرار في التدفق، مما يجعل الجمل يتحمل أعلى مستويات الجفاف مقارنةً بالثدييات الأخرى.

العينان

يرى الجمل جيدًا خلال النهار في شمس الصحراء الساطعة وفي الليل الكاحل. جفون الجمل شبه شفافة، مما يسمح له بالسير وعيونه مغلقة. الرموش طويلة جدًا، وتحمي أيضًا من الرمل والغبار.

الأنف

يستطيع الجمل إغلاق خياشيمه. وهذا يساعد على إبعاد الرمال، ويساعد أيضًا في تبريد هواء الزفير، مما يساعد في الحفاظ على المياه في جسده.

السنام

يُخزن الدهون، وليس الماء. تمنح الدهون الموجودة في سنام الجمل طاقة احتياطية عندما لا تتوفر نباتات للرعي.

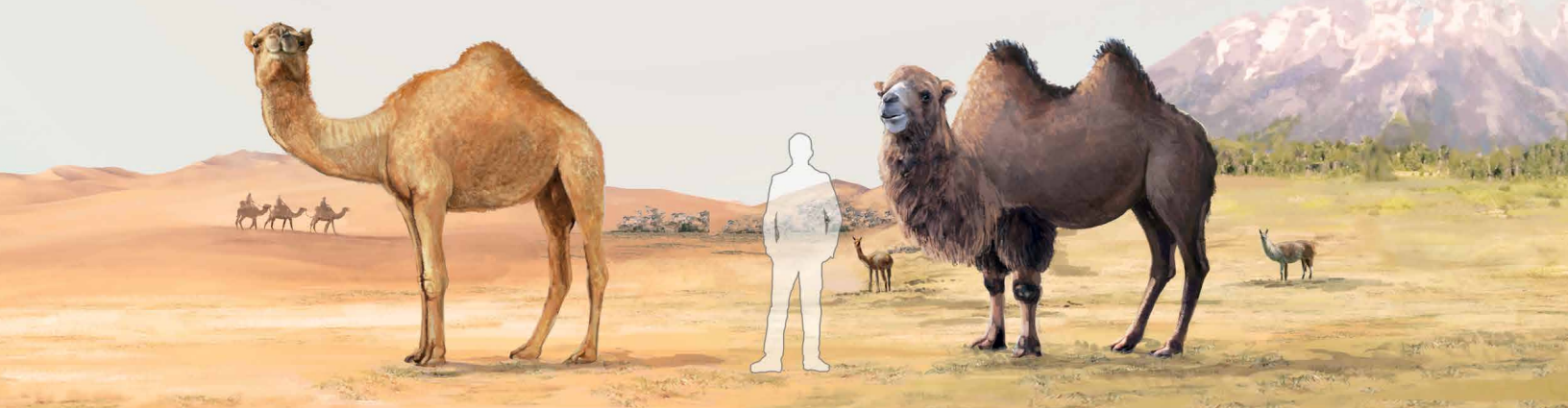

الجمل ذو السَنَامَيْن (Camelus bactrianus)
الوزن: 600 — 1000 كغم
ارتفاع الكتف: 1.6 — 1.8 متر

حجم هيكل بشري بغرض المقارنة

الجمل العربي (Camelus dromedarius)
الوزن: 400 — 600 كغم
ارتفاع الكتف: 1.6 — 2 متر

منذ حوالي 3.5 ملايين سنة، سمح المناخ الأكثر دفئًا للغابات الشمالية بالازدهار بالقرب من الدائرة القطبية الشمالية، حيث تم العثور على عظام الأحفورة بُرْكَمِلُس في إقليم يوكون في كندا. وربما تكون الجَمَليّات (الإبْلِيّات) في تلك المنطقة قد طورت سنامها المخزِّن للدهون وأقدامها للمشي فوق الثلج.

اكتشاف مهم لأنه يقدم أول دليل على أن الإبل عاشت في المنطقة القطبية الشمالية العليا". وأضافت أن هذا الاكتشاف لم يوسع نطاق الإبل في أمريكا الشمالية شمالًا بنحو 1200 كيلومتر فحسب، بل اقترح أيضًا أن: "السُلالَة (النَسَب) التي أدت إلى ظهور الإبل الحديثة ربما تكون قد تم تكييفها في الأصل للعيش في بيئة غابات في القطب الشمالي".

كما توضح ناتاليا: "لدينا الآن سجل أحفوري جديد لفهم تطور الإبل بشكل أفضل، حيث إن أبحاثنا تظهر أن سلالة بُرْكَمِلُس كانت تعيش في أمريكا الشمالية لملايين السنين، وأبسط تفسير لهذا النمط هو أن سلالة بُرْكَمِلُس نشأت هناك". وأضافت: "لذلك ربما تكون بعض الخصائص التي تُرى في الإبل الحديثة، مثل أقدامها المسطحة العريضة، وعيناها الكبيرتان والسنام لتخزين الدهون، عبارة عن تكيُّفات مستمدة من العيش في بيئة قطبية".

> **الأقدام المسطحة العريضة، والعينان الكبيرتان والسنام لتخزين الدهون ربما تكون تكيّفات مستمدة من العيش في بيئة قطبية**
>
> —— ناتاليا ريبزينسكي

وكذلك، فإن باطن القدم العريض المميز والمقسم الآن والذي أصبح مفيدًا للغاية في الصحاري الرملية الناعمة لم يقلّ فائدة عن التأقلم مع الثلج. وبالمثل، حتى سنام الإبل الشهير الذي يخزن الدهون (وليس الماء) كان تكيفًا لتحمُّل الشتاء القارس. وكانت تلك العيون الكبيرة، التي أشاد بها الشعراء البدو والتي يقدِّرها حكام عروض الإبل، قد تكون ساعدت على التحمّل خلال ستة أشهر من الظلمة الحالكة. أمّا أسنان الإبل، التي أصبحت قادرة الآن على مضغ الأشواك الحادة، لم تكن أقل إفادةً عند رعي النباتات القاحلة في القطب الشمالي.

على الجانب الغربي من الجسر البري، أدّت اكتشافات بُرْكَمِلُس إلى تأكيد فرضية أنه كان أول قبيلة جملاوية انتقلت إلى آسيا، وأنه السلف لجميع أنواع الإبل اليوم. وتشمل هذه الاكتشافات الصين وروسيا والهند وكازاخستان، وكذلك سوريا والجزائر وإيطاليا وحتى أقصى الغرب مثل إسبانيا.

وبالإضافة إلى بُرْكَمِلُس، استمرت أربعة أجناس أخرى على الأقل من الإبل في البقاء في أمريكا الشمالية حتى انقرضت في تلك القارة، إلى جانب الماموثات المُغطاة بالصوف والثدييات الكبيرة الأخرى، قبل حوالي 13000 سنة.

يظلّ تفكيك قصة هجرة الإبل من أمريكا الشمالية إلى آسيا لغزًا محيّرًا يحظى باهتمام متزايد بين الباحثين وعلماء الآثار. وتشمل رموز هذا اللغز انقراضات لاحقة، وحلقات تدجين لنوعين على الأقل ومواقع تشتمل على جزء كبير من آسيا والجزيرة العربية وأفريقيا وأجزاء من أوروبا، وتدعو إلى البحث عن إجابات عن السؤال، "سنام واحد أم سنامان؟".

في عامي 2003 و2005، اكتشف علماء الآثار السوريون والسويسريون بعض العظام الكبيرة بشكل غير عادي في واحة الكوم، وهي "منطقة جذب للعلماء" المهتمين بحقبة ما قبل التاريخ بين منطقتيْ الرقة وتدمر. وعندما تمّ التأكد من أنها بقايا الجَمَليّات (الإبْلِيّات)، أظهرت تلك العظام أن الإبل العملاقة لم تكن مقصورة على أمريكا الشمالية. عاش هذا النوع الذي يحمل اسم الجمل السوري (الجمل العملاق) منذ حوالي 100 ألف سنة، ويزن حوالي 1000 كيلوغرام، ويبلغ طوله ثلاثة أمتار - أي أكثر من ضعف حجم الجمل في عصرنا - أي بحجم الفيل تقريبًا.

كما أوضح عالم آثار "العصر الحجري القديم" جان ماري لو تينسورر من جامعة بازل في سويسرا، قائلًا: "لم يكن حجمها الهائل فقط هو الذي أثار دهشة العلماء. فحتى تاريخ هذا الاكتشاف، لم يكن أحد يعلم أن الجمل العربي كان موجودًا في الشرق الأوسط منذ أكثر من 10 آلاف سنة".

بالإضافة إلى دفع وجود الجَمَليّات (الإبْلِيّات) إلى الوراء 90 ألف سنة، تشير الطبقات من الاكتشافات إلى السكان المستدامين على مدى آلاف السنين. جنبًا إلى جنب مع الإبل العملاقة، اكتشف علماء الآثار أيضًا بقايا من أنواع الإبل الأصغر حجمًا، وكذلك الغزال، والمها، والجاموس، ووحيد القرن، والخيول الأولى

(الخيليات)، وعدد قليل من الحيوانات آكلة اللحوم. وتم اكتشاف بقايا بشرية وأدوات قريبة من موقع الاكتشاف تلمّح إلى صيد تلك الحيوانات.

يكتب لو تينسورر: "أن الإبل هي أنواع جذابة من الثدييات الكبيرة المستأنسة، لكن تركيب بنية أجسامها وتاريخها وتطورها غير معروفة. نحن نعلم أن عائلة الجَمَليّات (الإبْلِيّات) استعمرت أوراسيا من أمريكا الشمالية باستخدام الجسر البري عبر ما يُعرف الآن بمضيق بيرينغ منذ ما بين ستة وسبعة ملايين سنة مضت، وأنها تضمنت بعض الأشكال الكبيرة الحجم من جنس پرُكَمِلُس التي لا يُعرف عنها سوى القليل جدًا".

ولكن فقط عدد قليل من الدراسات كانت قد حاولت وصف ومقارنة الهياكل العظمية للجمل ذي السَنَامَيْن والجمل العربي، وما زالت هناك فجوات كثيرة فيما يتعلق بالتدجين، والأصول الدقيقة لجنس الجمل وغير ذلك الكثير.

بالإضافة إلى الاستنتاج الحديث بأن الجمل البري ينتمي إلى سلالة مميزة ولكن غير مؤكدة حتى الآن، فإن تسلسل الجينوم يشير أيضًا إلى أن الانقسام بين الجمل العربي والجمل ذي السَنَامَيْن قد يكون بدأ في أمريكا الشمالية أيضًا. يشير هذا أيضًا إلى أن الجَمَليّات أحادية السنام ربما وصلت إلى آسيا قبل وصول الجَمَليّات ثنائية السنام. وللتنوع الجيني نقاش في هذا الأمر أيضا: إذ يوجد حوالي 90 سلالة من الجمل العربي معترف بها، مقارنةً بـ 41 سلالة من الجمل ذي السَنَامَيْن فقط.

ومما يزيد القصة تعقيدًا مسألةٌ محيِّرة تتعلق بالتهجين. وقد أدى ذلك إلى مسارين خاطئين، أحدهما يرجع إلى الواقع والآخر بسبب أسطورة تستند إلى ما تَبيَّن أنها فرضيات غير صحيحة. وإن تهجين الجمل العربي والجمل ذي السَنَامَيْن ينتج عنه جمل هجين أحادي السنام، يُنتج المزيد من الحليب ويكون أكبر وأقوى من أي من الوالدين الأصليين. ومع ذلك، فهو أكثر عُرضةً للإصابة بالمرض، واستمرار التهجين مع الجمل الهجين يؤدي إلى تدهور السلالة. ونتيجةً لذلك، لا يتم جمع نوع واحد في القطيع، ولكن يتم تجميع النوعين معًا من أجل التحسين الانتقائي، وذلك عمومًا باستخدام الجمل ذي السَنَامَيْن الذكر والجمل العربي الأنثى (الناقة)، منذ آلاف السنين.

يرى ريتشارد بوليت، الأستاذ الفخري في جامعة كولومبيا والمتخصص في تاريخ الشرق الأوسط، أن أول تهجين متعمد من المحتمل أنه حدث في مكان ما بين شمال شبه الجزيرة العربية ومنطقة دجلة-الفرات في وقت ما بين عام 250 قبل الميلاد وعام 224 بعد الميلاد. كما ذكر في كتاب له بعنوان The Camel and the Wheel أو (الجمل والعَجَلة) - الذي يدرس تدجين الإبل وظهور فئة من البدو المشتغلين بتدجين الإبل - قائلًا: "شخص ما - على الأرجح من تجار كانوا على اتصال بمربيّي الإبل العربية - فكّر في تهجين النوعين معًا واكتَشَفَ أن الهجين حيوان مثالي يستطيع حمل الأثقال".

تفوُّق الهجين على الوالدين الأصليين في القدرة على حمل الأثقال جعله مرغوبًا جدًا. وبحلول الحقبة الإسلامية، كان الناس يستخدمون إبل ثنائية السنام في إيران وأفغانستان في المقام الأول لتهجين الإبل. وفي أقصى الغرب، كانت الجيوش العثمانية تعتمد على إبل هجينة أحادية السنام لنقل البضائع. غير أن تربية الإبل الهجين لم تتحقق في شبه الجزيرة العربية، حيث إن رعاة الإبل من البدو الرُحّل هناك قاموا بحماية سلالة إبلهم العربية. ومع مرور الوقت، تم تشكيل مجموعة واسعة من حوالي 90 سلالة غير مهجّنة.

> **شخص ما - على الأرجح أحد التجار كان على اتصال بمربي الإبل العربية - فكّر في تهجين النوعين معًا واكتشف أن الهجين حيوان مثالي يستطيع حمل الأثقال**
>
> —— ريتشارد بوليت

لقد أدّت التربية الهجينة أيضًا إلى الاعتقاد بأن الإبل العربية نشأت من الإبل ثنائية السنام. حتى الحرب العالمية الثانية، كانت تربية قطيع الإبل العربية في شمال أوروبا في إيطاليا بالقرب من بيزا. ويعود أصلها إلى هدية من 20 جملًا - من بين حيوانات أخرى - مُنحت عام 1622 من أمير تونس إلى دوق توسكانا الكبير. وكشفت سلسلة من الدراسات البيطرية والتشريحية التي تم الاستشهاد بها على نطاق واسع في القرن التاسع عشر في مزرعة الدوق الكبير عن وجود سنام ثانٍ بدائي في كل من الإبل العربية البالغة والجنينية. وأدّى ذلك إلى استنتاج مفاده أن الإبل العربية كانت نوعًا من الإبل ثنائية السنام.

ولكن الأبحاث دحضت هذا الأمر في عام 2010. فقد أظهر فحص الإبل العربية الأصيلة في مختبر أبحاث الطب البيطري المركزي في إمارة دبي عدم وجود مثل هذه الميزات. على الرغم من أن استنتاجات الأبحاث الإيطالية كانت خاطئة، إلا أن النتائج التشريحية لم تكن خاطئة: كان للقطيع الإيطالي غير المعروف من قبل الفاحصين، أصل هجين مهم، وهذا هو ما أنتج أثر السنام الثاني.

ناتاليا ريبزينسكي، عالمة الحفريات في المتحف الكندي للطبيعة، تجمع حفريات من الجمل في القطب الشمالي خلال رحلة استكشافية ميدانية في عام 2008 إلى موقع Fyles Leaf Bed في جزيرة إليسمير في نونافوت. الصورة السفلى: وضعت ريبزينسكي في مختبرها حوالي 30 قطعة من عظام أطراف أحفورية الجمل القطبي الشمالي لمزيد من الدراسة.

MARTIN LIPMAN / CANADIAN MUSEUM OF NATURE (2); OPPOSITE: JULIUS CSOTONYI

أي الإبل أفضل؟

هل يمكن لِجمال السباقات أن تستفيد من نفس النوع من العلوم الإنجابية التي ساعدت لعقود على تطوير خيول السباق؟ في التسعينيات، كان هذا السؤال في ذهن الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ورئيس الوزراء، وحاكم دبي وهاوٍ لسباق الخيل والهجن. وفي الوقت نفسه، كانت جوليان (لولو) سكيدمور قد حصلت مؤخرًا على شهادة في علم الحيوان من جامعة لندن، للعمل مع اختصاصي استنساخ الخيول الشهير توينك ألين في كامبريدج، إنجلترا. وعندما تم تواصل آل مكتوم مع ألين للتشاور بشأن مشروع نقل الأجنة للهجن، أرسل سكيدمور كباحثة مساعدة. وسرعان ما أدركت أنه بينما يُعرف الكثير عن تكاثر الخيول، إلا أن القليل كان معروفًا عن تكاثر الإبل. بعد سبعة وعشرين عامًا، أصبحت سكيدمور المديرة العلمية في مركز استيلاد الهجن في دبي. أرامكو وورلد تتحدث إليها عبر سكايب.

أرامكو وورلد: ماذا تفعلين في مركز استيلاد الهجن؟

سكيدمور: يوجد في المركز مجموعة تضم حوالي 200 رأس من الهجن الخاضعة للأبحاث. عندما بدأت العمل، ونظرًا لأنه لم يُنشر سوى القليل عن الإبل، تمكّنا من القيام بالكثير من العمل الرائد في الدورة التناسلية الطبيعية. وقد أدى ذلك إلى القيام بالكثير من عمليات نقل الأجنة وتجميد الأجنة - بعضها كان لأول مرة [في هذا المجال]. أفترض أن أهم ما في الأمر كان تقديم هجين من أُم من اللاما وأب من الإبل. إذا تمكنت من استيلاد حيوان بحجم الإبل مغطى بفراء مثل الألباكا، فسيكون لديك الكثير من الألياف الجيدة والأشياء التي يمكنك العمل معها، حيث سيكون لذلك فائدة عملية.

أرامكو وورلد: ما سبب أهمية دراسة الإبل؟

سكيدمور: أصبحت الإبل الآن أكثر شعبية. كان سباق الإبل هنا هو الدافع الرئيس. تُعادل قيمة الإبل الكثير من النقود، مثل قطاع سباقات الخيل الأصيلة في المملكة المتحدة، لذلك، فعليك أن تدرس وتبحث لمعرفة ماهية المشكلات وكيفية تقديم حلولٍ لها. لكنها تُستخدم أيضًا كمصدر للألبان الآن، وأصبحت ذات شعبية أكثر فأكثر. كما أنَّ هناك العديد من الفوائد الصحية المختلفة، والأجسام المضادة للإبل مختلفة قليلاً. لذا، كلما اكتشفنا خصائص الإبل، وجدناها أكثر روعةً. يمكنك توفير الحليب واللحوم وتوفير وسيلة نقل، مع استيراد القليل جدًا من المواد الغذائية، لذلك تعد الإبل مهمة جدًا بالنسبة إلى البلدان النامية أيضًا.

أرامكو وورلد: ما أنواع الأبحاث الأخرى التي يُجرى تنفيذها؟

سكيدمور: لقد نجحنا في استنساخ الإبل، ونحن نعمل الآن على زرع الكثير من خلايا الإبل. وإننا نعمل على الخلايا الجذعية لمعرفة ما إذا كان بإمكانها تحسين أشياء مثل الساقين والأوتار - تمامًا مثلما [تفعل] في الأجناس الأخرى. وسوف يكون هناك بعض العمل الذي أفكر فيه بشأن الأجسام المضادة، والدم، وكل ذلك ما زال في بداياته في الوقت الحالي. أعتقد أن الجامعات تُجري الكثير من الدراسات الآن حول الإبل، وأن الناس أصبحوا بالفعل أكثر معرفةً بالإبل. فبدلًا من [رؤية] تلك الحيوانات الغاضبة ذات السنام في الصحراء، بدأوا بالفعل في إدراك فوائدها. في نهاية المطاف، ومع تفاقم ظواهر الاحتباس الحراري وتغير المناخ العالمي، إذا حدث كل هذا بالفعل وانتهى بنا المطاف إلى تصحر اليابسة، فستكون الإبل هي الوحيدة التي يمكنها البقاء. ستكون الإبل من الأنواع التي ستبقى على قيد الحياة، باعتقادي.

أدّت الدراسات الحديثة التي أُجريت على الحفريات القديمة إلى أن يقترح العلماء أن تدجين الجمل ذي السَنَامَيْن، الذي دفع التنمية الثقافية والاقتصادية عبر سهول آسيا الوسطى، وبالتالي فتح طريق الحرير الممتد حتى أطراف أوروبا، قد حدث في وقت مبكر جدًا مما كان يُعتقد في السابق، كان منذ حوالي 5000 سنة في المنطقة التي أصبحت الآن الحدود بين تركمانستان وإيران.

من المحتمل أن يكون تدجين الجمل العربي قد حدث بعد ألف سنة أو أكثر، لكن الفترة الدقيقة ما زالت غير مؤكدة. كما فتح تدجين الجمل العربي شبكة للتجارة، وذلك عبر طرق البخور، وفي شمال إفريقيا عبر طرق الصحراء الكبرى. قام هانز بيتر أوربمان، الأستاذ السابق لعلم الآثار في جامعة توبنغن، بحفر منطقة مليحة في الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، حيث تم التوصل من خلال عظام الإبل إلى رؤى حول انتقال الإبل من الحياة البرية إلى التدجين. كانت كل من أنواع الجمل العربي والجمل ذي السَنَامَيْن البري أكبر من الحيوانات المستأنسة في وقتٍ لاحق.

يستنتج أوربمان، وفقًا للأدلة المتاحة، أن تدجين الجمل العربي "حدث في مكان ما في شبه الجزيرة العربية خلال فترة الانتقال من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي منذ حوالي 3000 سنة". ويأتي الدليل من العديد من المواقع الأثرية في الإمارات العربية المتحدة التي يعود تاريخها إلى أبعد من ذلك، حيث تم العثور على بقايا من الإبل البرية التي كان يجري اصطيادها، بعضها كان على الساحل حيث يبدو أن الإبل البرية، مثل سليلتها، ربما تنجذب إلى الرعي على أشجار المانغروف.

يأمل العلماء أيضًا في ظهور بقايا أحفورية على طول ساحل البحر الأحمر غير المستكشف إلى حد كبير في المملكة العربية السعودية، وكذلك في الآلاف من

الإبل تصطف للحلب في مزرعة ألبان في دبي. حليب الإبل الذي كان يتناوله البدو منذ أمدٍ بعيد يأخذ طريقه إلى رفوف البقالات الآن. يحتوي على نسبة دهون أقل من حليب البقر، وهو خالٍ من اللاكتوز وغني بالحديد وفيتامين سي والبروتين.

الحفريات القديمة في المملكة، والتي يجري مسح بعضها واستكشافها.

تقول باميلا بيرجر، عالمة في علم الوراثة المحافظة في معهد أبحاث بيئة الحياة البرية في فيتموني في مدينة فيينا بالنمسا: "ما تزال هناك العديد من الأسئلة التي نبحث عن إجابات لها". "لقد نجحنا في تحويل الجمل العربي البري إلى حيوان مستأنس، لكننا ما زلنا لا نعرف كيف وأين بدأ التدجين، وما تأثيره على حيوانات اليوم".

تشرح بيرجر التحديات التي تواجهها هي وغيرها من العلماء. الدراسات الوراثية للإبل تتخلف كثيرًا عن تلك الدراسات الخاصة بالخيول. وتقول: "غالبًا ما تكون اكتشافات الخيليات من مناطق دائمة التجمد، وهناك الكثير من المواد الوراثية المتاحة، لكن بقايا الإبل أقل بكثير وتوجد دائمًا في المناطق الأكثر دفئًا، حيث التعرض للأشعة فوق البنفسجية والحرارة يتلف الحمض النووي". وتضيف بيرجر قائلةً: "إنها ليست مسألة معرفة أو تقنيات. بل إنها مسألة توفير الموارد للدراسات والحصول على عيّنات جيدة".

ومع ذلك، حققت بيرجر وفريقها الاكتشافات. فعلى سبيل المثال، أثناء عملية التدجين، قام الإنسان بتربية الحيوانات المستأنسة عن طريق اختيار تلك الأجزاء من النمط الجيني التي حققت أكبر قدر من الفوائد، ومع مرور الوقت، قلّل هذا من التنوع الجيني. ومع ذلك، لم يكن هذا هو الحال مع الجمل العربي، الذي ما يزال يُظهر التنوع الجيني الهائل. وهذا يجعل الإبل فريدة من نوعها بين الحيوانات المستأنسة.

باستخدام عينات من أكثر من 1000 من الجمال العربية التي تمت مقارنتها مع العينات الأثرية، خلصت بيرجر وفريقها إلى أن التنوع الجيني للجمل العربي كان نتيجة لاستخدامه على نطاق واسع كحيوان نقل. وتسببت القوافل البرية ذهابًا وإيابًا على مدى مسافات طويلة في جعل الإبل العربية في اتصال مع بعضها البعض. وعلى مر القرون، نتج عن ذلك هذا التدفق الجيني الذي عزز التنوع. على النقيض من ذلك، شهدت حيوانات المزرعة مثل الأبقار والأغنام والدجاج تآكل مواردها الوراثية.

تفتح هذه المعرفة الباب أمام بحث جديد حول السمات المثلى التي يمكن أن تساعد في زيادة التكاثر الانتقائي لإنتاج اللحوم والحليب على نطاقات التسويق الشامل. (انظر الصورة السفلى في صفحة 14) وقد يساعد أيضًا في تحسين الماشية المخصصة للسباقات والعروض. مثل الأنواع المستأنسة الأخرى، تنتقل الإبل أيضًا بسرعة إلى عصر تدار فيه علاقتها بالبشر بشكل حذر وعلمي أكثر. لقد حققت تكيّفات ملحوظة وواسعة النطاق، وقد ألهم تعايشها مع البدو الرُحّل العديد من الثقافات. وبذلك، حقق الجمل أيضًا تميُّزًا لكونه حيوانًا مستأنسًا، عند مقارنته بالحيوانات الأخرى، يقدم ويوفر مجموعة متنوعة من الاستخدامات البشرية التي لا مثيل لها مقارنة بالحيوانات المماثلة الأخرى. وتشمل هذه المواد الغذائية من خلال الحليب واللحوم، وموارد مثل الصوف والفراء والجلد والسماد، فضلًا عن الخدمات مثل السفر لمسافات طويلة، وحمل البضائع لمسافات طويلة، وأداء دور الشركاء الصبورين في أداء المهام الزراعية، ورافعي المياه من الآبار.

اليوم، تمنحنا الإبل وأصحابها من البشر أيضًا المتعة والترفيه من خلال السباقات والأنشطة الثقافية مثل مهرجانات الإبل. وهم يوفرون الآن الأساس لزيادة الاهتمام الأكاديمي والعلمي من خلال منظمات مثل الجمعية الدولية للأبحاث والتنمية في مجال الإبل، والجمعية الدولية للتحسين الوراثي للإبل والمحافظة عليه، ومركز أبحاث الإبل في جامعة الملك فيصل. يعزز الجميع البحث والعمل الميداني والمؤتمرات وتبادل المعلومات في مجال "علم الإبل" المتنامي. يقول فيصل المذن، مدير مركز أبحاث الإبل: "بينما قد تركز بعض الدراسات على تحسين الإبل من أجل السباقات ومن أجل مظهرها، ينصب اهتمامنا أكثر على تحسين سلالات الاستخدامات الإنتاجية". ويواصل قائلًا، يتعاون الزملاء مع جامعة منغوليا الداخلية لإيجاد "منتجات جديدة من الإبل من الحليب والدهون لمستحضرات التجميل وكذلك دراسات جهاز المناعة".

لَمْ تقدر سوزان هويبيش، التي كانت منبهرة من الإبل التي رأتها في السوق في الرياض على تمالك نفسها، حتى إنها شرعت في الحصول على زوج أصيل من الإبل لمزرعتها في كاليفورنيا، للعمل على تحقيق حلمها. لقد منعتها القيود المفروضة على الواردات الحيوانية إلى الولايات المتحدة من الشرق الأوسط من ذلك. وقد قبلت شراء زوج مولود محليًا. ما نسبهم؟ أستراليا - التي استوردت أول إبل عربية إلى أراضيها في القرن التاسع عشر.

الهجرة العظيمة مستمرة.

بيتر هاريجان (harrigan@fastmail.fm) هو محرر وكاتب مساهم في إعداد إصدارات أرامكو وورلد. بصفته مؤسس ومدير تحرير Medina Publishing، أحدثُ مؤلفاتِه كتابٌ بعنوان Addiriyah, Birthplace of a Kingdom أو "الدرعية، مسقط رأس المملكة" (سيُصدر قريبًا، 2018). على الرغم من أن مجموعة مؤلفاته تتضمن العديد من الكتب حول الخيول، إلا أنه ما زال ينتظر فرصة لنشر كتاب عن الإبل.

ميسا شوماخر هي رسّامة علوم ورسّامة رسوم متحركة ومساهمة منتظمة في National Geographic وScientific American، ويمكن العثور على أعمالها في الكتب المدرسية ومقتطفات بالبيانات التصويرية التفاعلية والأدلة الميدانية. تعيش حاليًا في كاتماندو في دولة نيبال.

المقالات ذات الصلة على الموقع الإلكتروني aramcoworld.com

فرقة الهجانة في الجيش الأميركي: 02 M/J

سباق الهجن في الإمارات العربية المتحدة: 01 M/J

الإبل الأسترالية: 88 J/F

TOR EIGELAND, OPPOSITE, TOP: COURTESY OF LULU SKIDMORE; LOWER: HATIM OWEIDA

الإبل والثقافة

الاحتفال بالإبل

مع تبدد ضباب الصباح فوق الصحراء المنبسطة، خرج راكب يمتطي ظهر جمل مزين بأشرطة حمراء، ويتقدم وحده، 100 جمل، وهتف إلى القطيع لبدء خوض غمار المنافسة في شكل هرولة في نهاية مضمار طويل مستقيم. هذه هي إبل *الشقح* العربية الأصيلة، تمتاز باللون البيج وموطنها في منطقة عرعر، بالقرب من الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية. تهتف الجماهير في المدرجات بينما تتحرك الإبل في انسيابٍ وتصعد بسنامها وتهبط به وتجري بدفع ركبتيها؛ كما تحلق فوقها بضع طائرات مُسيَّرة لتصوير هذا السباق الرائع. على بُعد بضع مئات الأمتار من المسار، يهتف راكب الإبل إلى القطيع مرةً ثانية. يغيّر القطيع اتجاه حركته، ويعود إلى نقطة الانطلاق.

إنه يوم مسابقة جمال الإبل التي تضم 100 جمل في مسابقة *مزاين الإبل*، والتي تضم أيضًا فعاليات مؤلفة من 10 و20 و30 و50 جملًا، وعشرات المسابقات الفردية، وحلبة سباق كاملة ومنفصلة طولها ثمانية كيلومترات، ومنصات عروض مخصصة لسباق الهجن. إنَّ ما بدأ منذ أكثر من عقدين كمهرجان بدوي في شمال المملكة العربية السعودية، أصبح على مدى العامين الماضيين، مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل، وهو عبارة عن مهرجان رسمي لمدة 28 يومًا للاحتفال بهذا الحيوان الذي يعد رمزًا للوطن في المملكة. وفي هذا العام، استقطب المهرجان أكثر من 300 ألف متفرج، وجلب 1900 مالك معهم أهمَّ عناصر المسابقة، وهي: 38 ألف رأس من الإبل.

يقدم هذا المهرجان، الذي ترأسه دارة الملك عبدالعزيز ومقرها الرياض، أكثر من عشر فعاليات وخيم للمعارض والتاريخ والحِرف اليدوية وغير ذلك

بقلم
شايستا خان

تصوير
حاتم عويضة

١

2

3

١: تتبع الإبل قائدها، حيث يستعرض قطيع من الإبل على طول مضمار السباق في مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل، الذي جذب أكثر من 300 ألف متفرج على مدار 28 يومًا. 2: يهتف المتفرجون على الإبل المفضلة (الصورة 3) التي تتنافس في عشرات الفئات التي تتضمن السباق والجمال والطاعة وغير ذلك.

الكثير، في معارض دائمة أُنشئت حديثًا. ويهدف المهرجان إلى جذب سكان الحضر - الذين قد لا يكونون في هذه الأيام على دراية بالإبل أكثر مما قد يكون نظراؤهم في ولاية تكساس على دراية بالخيول.

يقول فواز المحرج، عضو مجلس إدارة نادي الإبل الذي أنشأته حكومة المملكة حديثًا، والمكلَّف بالترويج للفعاليات ذات الصلة بالإبل على مستوى المملكة: "هناك جمهور كبير يتابع الأنشطة المتعلقة بالإبل". ويوضح قائلًا أنه في العام الماضي كانت فعاليات الإبل في المملكة العربية السعودية "تعزز وتوائم" رؤية المملكة 2030، الاستراتيجية الوطنية للتنويع الاقتصادي.

يضيف المحرج قائلًا: "يهدف المهرجان إلى أن يتحول إلى فعالية عالمية، بها خيم وإبل من دول أخرى، بالإضافة إلى إقامة علاقات دولية رفيعة المستوى سيربطها الناس تلقائيًا بالمملكة العربية السعودية".

يقام المهرجان الآن خارج مدينة الرمحية، شمال شرق الرياض، على مساحة تزيد على 10 كيلومترات مربعة، مع وجود مناطق مخصصة لمسابقة مزاين الإبل والسباقات؛ بالإضافة إلى المزادات والأسواق ومنطقة مركزية للترفيه العائلي حيث تُعرَض الإبل النادرة، والفنون المعتمِدة على شَعر الإبل، ومسابقة التصوير الفوتوغرافي والمعارض الثقافية. وكما يوضح المحرج، فإن الهدف من هذه الأنشطة أن تكون مجرد بداية لأكثر من ذلك بكثير: وتشمل الخطط رحلات السفاري على ظهر الإبل، ومصانع حليب الإبل، ومستشفيات للإبل، ومراكز أبحاث الإبل.

بينما كنت أستمع إلى المحرج، كنت أسائل نفسي لماذا، في القرن الحادي

TOP AND LOWER: JASON PLEWS

1: تقدم إحدى حظائر إبل المزادات في المهرجان للمشترين نظرة فاحصة على الإبل التي يمكن أن تحقق أسعارًا أعلى من السيارات الفاخرة. 2: السعوديون يضربون الدفوف ويردِّدون الأهازيج الشعبية لزوّار المهرجان. 3: يضع أحد أعضاء لجنة التحكيم علاماته بينما تمرُّ الإبل خلال مسابقة جَمَال الإبل (مزاين الإبل).

والعشرين، تقام مثل هذه الفعالية التقليدية؟ لماذا لا تقام فعالية عصرية وعالمية، مثل الفورمولا وان؟

يُشارك سلطان العماني في لجان التحكيم بمسابقات الإبل منذ أكثر من 30 عامًا، في كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. فيما يراقب قطيع الشقح، يدوّن بسرعة بعض الأرقام على قطعة من الورق، وقد يشطب صاحب المرتبة السابقة. يشرح العماني قائلًا إن الجَمال هنا يكمن في عيون الناظرين المدرَّبين تدريبًا عاليًا: أعضاء لجنة التحكيم. ويؤخذ في الحسبان طول الناقة، وشكل أنفها وشفتيها، وبنية جسمها وتناسبه. ويواصل العماني شرحه: "يجب أن لا يزيد حجم أي عضو كثيرًا عن باقي الجسد".

"يجب ألّا يكون جسمها كثير الوبر وكثير الدهون والشحوم، ولا نحيفًا للغاية. وأن يكون السنام مدوّرًا بشكل جيد. وأن توجد مسافة متناسبة بين السنام والرقبة. ويجب أن تكون الرقبة طويلة ونحيلة. ويجب أن يكون الأنف طويلًا، وعريضًا قليلًا عند الجسر - هذه علامة جيدة جدًا للجَمال. وأن تكون الآذان صغيرة وأنيقة، وينبغي أن تتدلى الشفاه. وكلما كانت الناقة أطول، كانت أكثر جمالًا".

في الجوار، يتواجد عبدالعزيز الموسى الذي يبلغ من العمر 18 عامًا، في المهرجان لتقديم إبل والده في مسابقة الجمال. لقد نشأ وهو يحضر مهرجانات

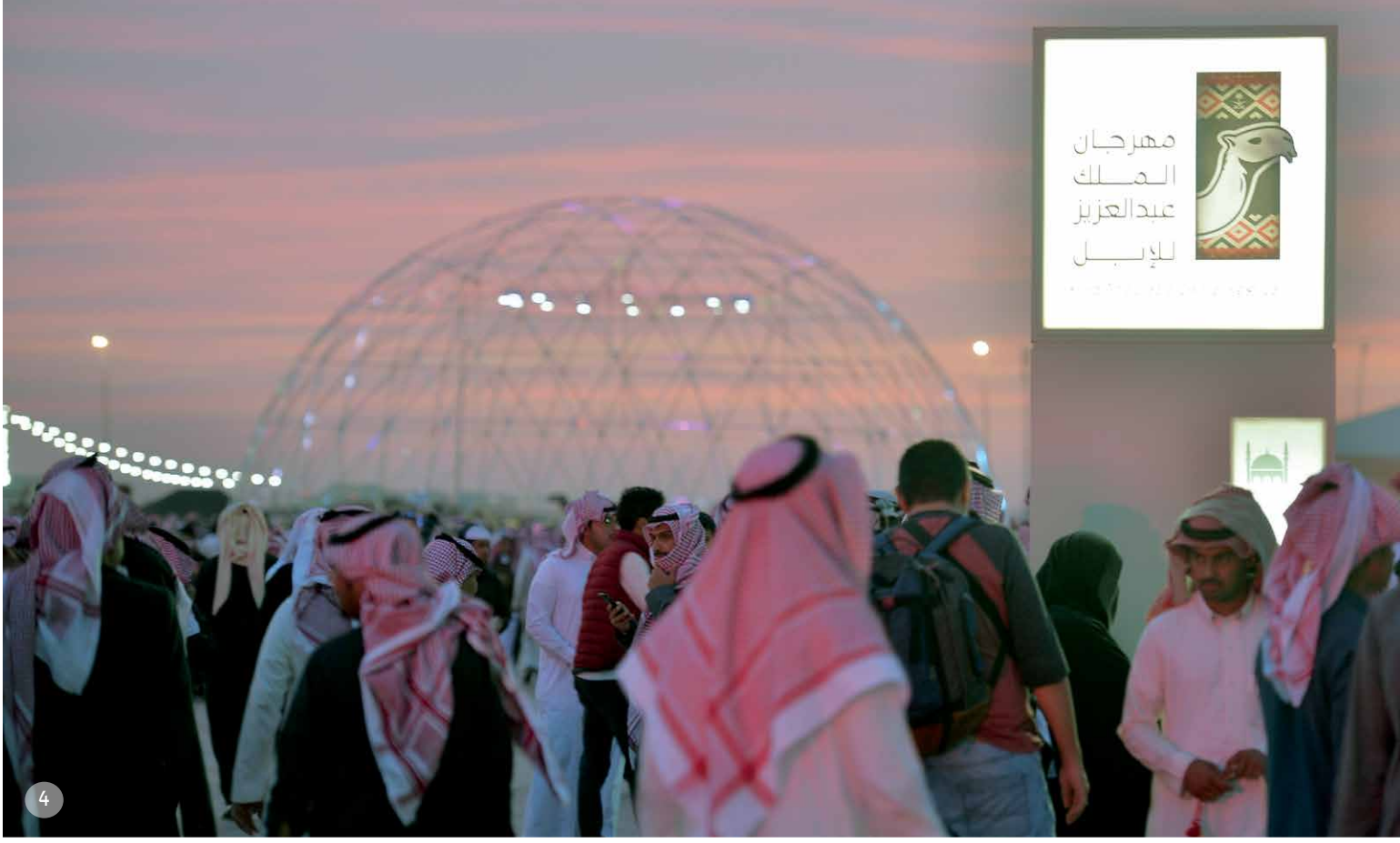

4

5

6

4: يظهر شعار مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل في الساحة الرئيسة للمهرجان. بدأ البدو بشكل غير رسمي في إقامة المهرجان عام 1999 في شمال المملكة العربية السعودية، والآن أصبح المهرجان مناسبة وطنية. 5: في خيمة المعرض للصناعات اليدوية، تصنع سيدة النسيج البدوي. 6: لحظة بين أحد الملاّك وجمله تقدم لمحة عن العلاقة المتينة التي عززت العلاقة بين البشر والإبل لآلاف السنين.

الإبل، وفي العام الماضي، فاز الموسى بجائزة المركز الثاني التي بلغت قيمتها 200 ألف دولار.

يوضح قائلًا: لرعي وتربية إبل جميلة، نقوم بعلفها الشعير والبرسيم المجفف. كما يوجد نظام تمرين خاص للقطيع يشمل جولات طويلة مرتين يوميًا وفحوص بيطرية شهريًا. ويعلق مازحًا: "أعتقد أنّها ستكون منافسة قوية بين إبل الأمير وإبلنا".

ونتيجةً لإجمالي الجوائز القيِّمة التي يبلغ مجموعها 57 مليون دولار، التي يتم توزيعها في نهاية المهرجان، ومنها حوالي 31.8 مليون دولار من أجل مسابقة الجمال وحدها، فإنه توجد قواعد صارمة لضمان التسابق العادل.

يتحقق التسجيل الإلكتروني من أن كل جمل مزود برقاقة تخزن تفاصيلًا عن الجمل وصاحبه، ويتم فحص الإبل قبل كل فعالية. مع أن مكافأة المسابقة كبيرة، والهيبة الاجتماعية في امتلاك ما يمكن أن يكون قيمته مليون دولار - حرفيًا - من الجمال أو القطيع، إلا أن المخاطر كبيرة - والعواطف قوية.

على الرغم من هذه الحوافز، يوافق جاسر الهاجري على أنهم يحنّون إلى الحياة البسيطة، وأحيانًا حتى إلى الفوضى، في مزاين الإبل القديمة. يقولون، كان هذا تجمُّعًا اجتماعيًا أكثر حيث تلتقي العائلات التي ترعى وتربي الإبل بهدف تقدير الجَمال والبراعة. يقول الهاجري: "أما الآن، فالكل يريد أن يكون الأفضل ويفوز".

LOWER LEFT AND OPPOSITE, TOP: JASON PLEWS

1

2

5

6

7

في هذا العام، هناك طرق ووسائل أكثر للفوز: لأول مرة، هناك مسابقة لطاعة الإبل. فوزان الماضي، رئيس اللجان التنظيمية والميدانية، قام بتحكيم هذه المسابقة الجديدة.

يقول الماضي: "هناك عدة طرق لاختبار طاعة الإبل: اختبارات بسيطة مثل جعل المالك يأمر الجمل بالجلوس أو الوقوف، أو يقدم السائس بعض العلف للجمل، وإذا استمر في تناول العلف على الرغم من مناداة السائس له، يُعتبر الجمل غير مطيع".

وأكمل الماضي حديثه قائلًا: تنطوي الاختبارات الأكثر تعقيدًا على جعل اثنين من قطعان مختلفة الألوان المشي مع بعضها البعض، و"إذا اتبع جمل القطيع الخطأ على الجانب الآخر، فسيخسر القطيع". وأضاف: "كما سيأخذ السائس الإبل في مساحات ضيقة للغاية، مما يتسبب في خوف بعضها وتراجعها". ومن صميم المنافسة ألا ينفصل المالك عن إبله ويظلان معًا.

بعيدًا عن أرض المعارض، في مزاد الهجن، يتجمع الرجال والفتيان حول الحظيرة، بينما يقوم الدلاّل، ممسكًا بوقًا في يده، بإدخال ودعوة الأشخاص للمزايدة على ناقة لونها أصفر ذهبي وولدها. "ماذا؟" يسأل، "ألا يريد أحد المزايدة والشراء؟" مما يعلي صوت الحضور بالضحك والمداعبة. ينادي الدلاّل بصوتٍ عالٍ موضحًا أن هذا الزوج ثمين يستحق أكثر بكثير مما تراه العين. يتوقع أحد المراقبين أن السعر قد يصل إلى 60 ألف دولار.

يقول فهد سعيد الدريبي، صاحب دار المزادات، إن حوالي 400 صفقة تمت خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من المهرجان، مما أدى إلى زيادة في أسعار الإبل على مستوى المملكة. ويوضح قائلًا إنه بإمكان المشترين هنا شراء أي شيء بدءًا من جمل واحد إلى قطيع كامل. يمكن أن يصل سعر الإبل إلى أكثر من سعر السيارات الفاخرة وشاحنات النقل وسيارات الدفع الرباعي الصحراوية: من حوالي 1500 دولار للجمل العربي العادي إلى أكثر من 750 ألف دولار لأعلى فئة من الإبل التي يتم تربيتها لخوض مسابقات المزاين وغمار المنافسات. ويضيف قائلًا: "الناس يشترون لشتى أنواع الأسباب أيضًا". وأضاف: "ستكون صغار الإبل كافية لتحضير مأدبة عشاء كبيرة، أو ذكور الإبل لخوض غمار المنافسات أو الإنجاب، أو الناقة الجميلة لتربية قطيعها والمشاركة في المسابقات المستقبلية".

أكثر سلالات الإبل طلبًا هي شعل الصفراء، ووضحة البيضاء، وصُفُر، التي تكون صفراء مع سنام داكنة. يروي الدريبي بفخر قصة جمل أصيل قام ببيعه وفاز في السباقات لمدة ثلاث سنواتٍ متتالية.

في نهاية زيارتي للمهرجان التي استغرقت يومين، والتحدث مع عشّاق الإبل

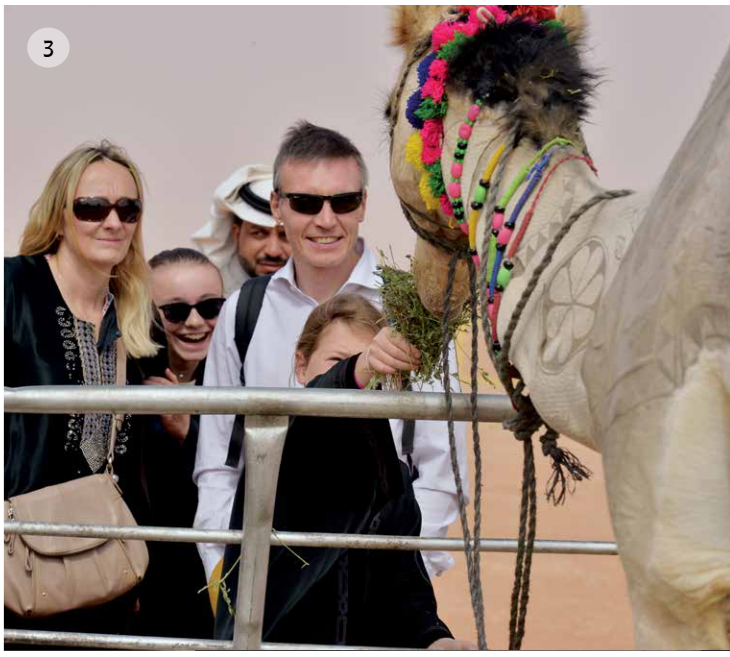

1: في فئة مشي الجمل بمسابقة الجَمَال، ينتظر ثمانية حكام المتسابقين. 2: تميمة المهرجان تثبت أنها موضوع صورة شعبية. 3: عائلة تطعم جملًا. 4: الشعراء يعيدون إلى الأذهان الإرث الأدبي الطويل للإبل. 5: قطيع يستعرض على جزء من مضمار السباق الذي يبلغ طوله ثمانية كيلومترات. 6: صغار الإبل في شاحنة صغيرة تساعد على استدراج أمهاتها وجذبها خلال إحدى فعاليات القطيع في مسابقة جَمَال الإبل. 7: الجمهور يهتف. 8: يشارك الأطفال في الأنشطة الإبداعية في خيمة الفن. 9: مربِّي إبل يتحدث مع عائلة عن جمله. 10: يُعد تمثال الجمل الكبير هذا في ساحة المهرجان أحد التعبيرات الفنية العديدة لهذه الفعالية.

شايستا خان (www.linkedin.com/in/shaisthakhan) كاتبة مستقلة في مجال العلاقات العامة، تقيم في الظهران في المملكة العربية السعودية. وتكتب عن السفر والطعام والثقافة والمواضيع التي تلاقي صدىً واسعًا لدى جيل الألفية المتعدد الثقافات مثلها. المصوّر الصحافي **حاتم عويضة** (@oweid- ;oweida@gmail.com) (amamann يقيم أيضًا في الظهران، حيث يعمل مصورًا فوتوغرافيًا في فريق الإنتاج الإعلامي في أرامكو السعودية.

المقالات ذات الصلة على الموقع الإلكتروني aramcoworld.com

جمال الإبل: 08 M/J

سباق الهجن لقوة التحمل: 00 J/A

فيديو:
aramcoworld.com

والخبراء والمتنافسين وآخرين، وجدت إجابةً عن السؤال الذي طرحته. بينما أشاهدهم وهم يداعبون إبلهم ويلعبون معها، وأقرأ بحماس الشِعر المتعلِّق بالإبل وقصصها، أتذكّر كَمْ أنَّ الجمل العربي جزء لا يتجزأ من هوية هذا البلد.

أنشأ التجار الأوائل بمساعدة الإبل وعلى عاتقها، الحضارات الأولى لهذه المنطقة؛ وعلى عاتق الإبل في أوائل القرن العشرين، وحَّد الملك عبدالعزيز آل سعود مملكة اليوم. وانطلاقًا من هذه الموروثات، يعزز المهرجان شعورًا بالفخر أكثر من أي سباق "فورمولا وان" على الإطلاق.

OPPOSITE, TOP: JASON PLEWS; LOWER LEFT: KING ABDULAZIZ CAMEL FESTIVAL

دلّل جملك

بقلم وتصوير
بيليز تيكيرلي

جمل، وآخر... أيها أكثر جمالاً؟

كما لو أنه ليس كافيًا أن يتحمل البيئة الأشدّ حرارة والأكثر جفافًا في العالم. وليس كافيًا أن يحمل على ظهره حمولة يصل وزنها إلى 200 كيلوغرام، ويمشي بها 150 كيلومترًا، يومًا بعد يوم، دون شرب الماء. ثم لا ينال إلا عشر دقائق فقط لشرب 100 لتر من الماء، ليستمرّ بعدها في المشي. كما لو أن هذا أمرٌ طبيعي.

هذا ما يقوم به الجمل، حيواننا المفضل، منذ آلاف السنين. بكل رشاقة واتزان، بل وروعة وجمال.

يقول هلال الشيباني، صاحب جمل، "عنق طويل. شفاه كبيرة متدلية".

ويخبرني قائلًا إن بعض الصفات التي يتمتع بها قطيعه من الإبل ضمنت له الحصول على جائزة مالية في مسابقة المزاين خلال مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل. ويضيف قائلاً: "لون الجمل ليس مهمًا. هذا حكم شخصي يختلف من شخص لآخر".

يوضح فوزان الماضي، رئيس لجنة التحكيم، قائلًا: "إنها في الغالب مسألة جينات".

"في عمر الستة أشهر، واستنادًا إلى علم الأنساب، يصبح واضحًا ما إذا كان الجمل سيحظى بمكانة في مسابقات الجمال أو سيتم بيعه للحمه".

لكن الجمل لا يمكنه أن يحقّق الكثير مع جينات محدودة. وفي بعض فئات المسابقة، لا ينظر الحكام إلى المظهر فحسب، بل يأخذون أيضًا تدليل الجمل وتزيينه بعين الاعتبار.

لذا، كن مستعدًا لتدليل جملك وجعله في أبهى حُلَّة.

فيما يلي بعض الطرق للبدء.

أدوات ومواد يدوية الصنع تمامًا

أولًا، اعلم أنه لا توجد مصانع تصنع أدوات تزيين الإبل وتدليلها، ولا يمكنك طلب هذه الأشياء عبر الإنترنت. جميع العناصر مصنوعة يدويًا، وتكلفة أدوات الإبل مكلفة جدًا، إذ تعادل، على سبيل المثال، تكلفة إعادة تصميم مطبخك. حسنًا، ليس بنفس التكلفة دائمًا، ولكنها قريبة منها.

إن أحد أفضل الأماكن لشراء الأدوات والمستلزمات هو سوق الدهناء. وهو السوق الخاص بمستلزمات الإبل، ويوجد على طول الطريق بالقرب من مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل. تُوفَّر مساحة مجانية لكل عائلة لبيع منتجات الإبل المصنوعة يدويًا. فعلى مدى مسافة 120 كيلومترًا، لا يوجد منتج يحمل ملصق عليه بيانات المصنع. فهذا هو حال المنطقة.

البدء بالكثير من الحلي

القلادات بالتحديد هي الأدوات الأكثر وضوحًا وبروزًا في زينة الجمل. يمكنك اختيار بعض الإبداعات الكبيرة والمتقنة المصنوعة من الضفائر متعددة الألوان. ابحث عن الإكسسوارات التي تحتوي على زينة وزخرفة أكثر، مثل الأصداف التي تُخاط بها، وعلِّق الإكسسوارات من رأس الجمل مثل ضفائر شعر بلون قوس قزح، وتأكد من أنها طويلة لحدّ ملامسة الرمال تقريبًا.

أو احصل على بعض كرات الزينة المصنوعة من القطن الفاخر، وزينة متدلية من الشرابات (الكراكيش) العاكسة للضوء التي تتألق تحت أشعة الشمس، ومئات

> يقول المتحدث الرسمي للمهرجان، سلطان البقمي، إن العرب لديهم تقاليد عريقة في صناعة الزينة البارزة للإبل في المناسبات الخاصة، وخاصة للرأس والعنق، وكذلك سلاسل وأساور وألواح من النحاس توضع على طول أنف الجمل.

الخيوط الحريرية في مشهد رائع من الألوان في جميع أنواعها.

تذكَّر، لا نبحث عن الدقّة هنا.

قد حان الوقت الآن لتركيب الجرس.

كما قد تتوقع، يُركَّب الجرس حول العنق. يتمّ لفّه بصوف مصبوغ بألوان متنوعة، على شكل عقدة كبيرة. لا توجد ألسنة للأجراس، لذلك فهي لا تُحدِث صوتًا. إنها للزينة فقط. فاحصل على جرسٍ كبير.

الكاحل يشع بريقًا وتألقًا، فماذا عن خصلة المغنّي ألفيس بريسلي؟

فيما يتعلق بالتألق والصوت، جرِّب مجموعة من الخلاخيل. يُصنع معظمها من النحاس الأصفر، وجلجلتها ستجعل صوت حركة جملك يشبه صوت لُعبة مزلقة الصحراء.

بعد ذلك، اذهب إلى الحلّاق، ولا تطلب مجرد تقليم الوبر. بإمكان هؤلاء الفنانين أن يصنعوا قصات معقدة التصميم، إذ يمكنهم نقش معطف من الوبر، مثل القصات التي كان يبتكرها مصفف الشعر فيدال ساسون. وماذا عن المندلات (تصاميم قصات شعر) المذهلة؟ أشكال هندسية تنساب على الجمل من الصدر إلى الذيل؟

أربع من العُصيّ، أو اثنتان، أو بلا عصي، أو عُصيّ متفرّعة؟

بالطبع، لن يكون جملك جميل الوجه والمدلل حاضرًا للركوب عليه حتى تضع عليه الرّحل أو القتب. أسعار أنواع الرّحل المصمَّمة حسب الطلب تبدأ من 3000 دولار تقريبًا. ابحث عن واحد يحتوي على كروم خفيف، ومطاط اسفنجي عالي الكثافة، ونايلون، وحزام غليظ من القماش، وجلد، وبطانات لينة (قد يحتوي الرحل القديم على الخشب والحديد والجلد وحشائش العشب). اختر رحلًا رياضيًا مزودًا باثنتين من العُصيّ للسرعة والبساطة، ولكنه يتطلب مهارة بارعة، إذ أنَّك لا تريد أن تؤذي جملك. أما الرّحل المزود بأربع عُصيّ فهو يجعلك تمتطي جملًا رياضيًا متعدد الأغراض، يحمل الكثير من الأمتعة واللوازم، ويسهل تحميله وتفريغه، ويتمتع بتوازن جيد.

تحسين رحل جملك

رحل الإبل العربي الحديث يضفي الجمال على هيئة الجمل، وغالبًا ما يكون بمقاعد مزدوجة ومقبض مرتفع، ومزينًا بألوان رائعة وحقائب رحل مُحاطة بكرات زينة وشرابات (كراكيش) متعددة الألوان في كل جانب (لا تسأل عن تكييف الهواء، فأنت في الهواء الطلق!).

فإذا وضعت أحد عناصر الزينة هذه على سنام جملك، فستعمل على رفع مستوى زينة جملك بشكل لافت.

خاتم عوينة (2)

بدءًا من حقائب الرّحل المنسوجة يدويًا بأنماط تقليدية وحتى قلادات الشرابات (الكراكيش) المزينة بالكريستال، يوفر البائعون المتواجدون على جانبي الطريق إلى سوق الدهناء أيضًا لوازم وأدوات الركوب، والأشرطة، وأحزمة الصوف والبطانيات وأجراس العنق وأجراس القدم، وفي الصفحة المقابلة، الزهور الصناعية تزيِّن عنق الجمل وأنفه لمزيد من الأناقة والجَمَال.

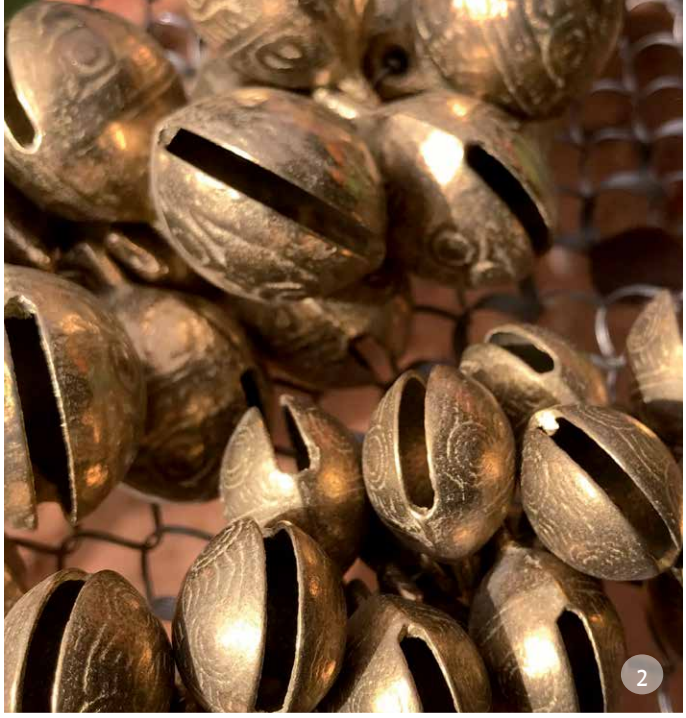

١: غالبًا ما تُمارس فنون حلاقة وبر الإبل من تشذيب وقص وحلق في المناسبات الخاصة. 2: أجراس نحاس للقدم من الهند. 3: هودج مجهز بمقعدين يُعدُّ تحديثًا لتصميم رحل قديم يُستخدم عادة لحمل النساء والأطفال. 4: التفاوض على البضائع في سوق الدهناء.

ما لم تضف سقفًا

الهودج المتميّز عبارة عن محمل فيه مقعد مظلل يتسع لشخصين أو أكثر بشكل مريح. وسيجعلك عند ركوبِ الهودجِ تشعرُ وكأنك حقًّا على متن سفينة في الصحراء

واصل وضع أدوات التزيين

قد يكون الجمل وحشيًّا يصعب ركوبه في أفضل الأوقات، لكن الناس جعلت المهمة سهلة بوضع زمام في أنفه ليقاد به، بل وأكثر من ذلك يجعل الإبل تُسيَّر في المسار الصحيح. هناك العديد من التصميمات المذهلة لهذا الزمام تُصنع من الصوف المصبوغ ووبر الإبل وحتى شعر الخيل. يمكنك تزيين مقدمة جملك ومؤخرته بالدباديب، صوف أو قماش منسوج بإحكام يوضع على ظهر قطعة قماش منسوجة من الصوف تُسمى الشمالة.

أما أسفل جانبي الجمل، من كل جانب من الرّحل، فيمكنك تعليق السفايف، حزام من نسيج الصوف متعدد الألوان وله طرفان، يُربط حول بطن الجمل. بالإضافة إلى ذلك، يمكنك تركيبه مع خلاخل وشراشيب مطرزة ومتعددة الألوان.

مستعد للسير في موكب من الإبل؟ هل حان الوقت للسير على الرمال؟ ما عليك سوى الاستعداد - هناك الكثير من المنافسة.

بيليز تيكيرلي (beliz.tecirli@hotmail.com) حصلت على شهادة الدكتوراه من كلية لندن الجامعية المتخصصة في مجال دراسة الآثار الاجتماعية للصناعات الإبداعية الثقافية. وعملت في كل من متحف لندن ومركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي في الظهران في المملكة العربية السعودية. وقادها اهتمامها بالحفاظ المستدام على التراث إلى تأسيس شركة Lapel Atelier، وهي شركة إلكترونية تكرس جهودها للزهور المصنوعة يدويًا لتزيين الملابس الرجالية باستخدام "القَزْل" بالطرق التقليدية.

لمسة من الحديد

لولا وسومها
ضاعت خشومها.

— مَثَل بدوي

بقلم
جيمس بي. مانديفيل

في هذا المثل العربي الشعبي، "الخشوم" أو "الأنوف" تعني الإبل. على الرغم من أن راعي القطيع الجيد يمكن أن يتعرف على كل جمل في قطيعه بمجرّد النظر إليه، إلا أنّ تتبع القطعان يكون أسهل عندما يتم وسم الحيوانات. *والوسوم*، أو العلامات المميِّزة، مخصصة بشكل أساس كي يتمكن الآخرون من تمييزها.

تُظهر لوحات ورسومات المقابر المصرية وفي بلاد الرافدين أن وسوم الماشية تعود على الأقل إلى الألفية الثانية قبل الميلاد. نظرًا لأن العديد من الوسوم هي أشكال هندسية بسيطة، ويتم رسمها جميعًا بأدوات من الحديد الساخن، فهناك أوجه تشابه في كل من الوسوم القديمة والحديثة، وكذلك أوجه تشابه مع الوسوم عبر المناطق الجغرافية (على سبيل المثال، فإن بعض وسوم الإبل في المملكة العربية السعودية متطابقة مع وسوم الماشية في الغرب الأميركي). إنّ مزايا الوسم كعلامة مُلكية تكمن بشكل أساس في بساطته ودوامه: محاولات تغيير الوسم تترك ندوب تُروى عنها الكثير من القصص والحكايات.

كما يشير *وسم الإبل* إلى أن الإبل تنتمي إلى قبيلة أو عشيرة أو عائلة أو فرد معين، مثل وسم شعار النبالة الأوروبي. يستخدم جميع أفراد قبيلة معينة الوسم نفسه، لكنهم قد يضيفون علامات صغيرة مخصصة، غالبًا ما تكون عبارة عن خط أو نقطة، تسمى *الشاهد*.

وربما استخدمت أكثر من قبيلة الوسم نفسه، لكن كل قبيلة تضع الوسم في مكان مختلف عن الأخرى، فقبيلة تضعه على الخد وأخرى على العنق وثالثة على الفخذ. تُرسم الوسوم عندما تكون الإبل في عمر 12 إلى 18 شهرًا، وكذلك خلال أشهر الصيف عندما تتجمع القطعان بالقرب من الآبار.

قد تُستخدم الوسوم أيضًا لتسمية ممتلكات أخرى، مثل الآبار، حيث يمكن أن يكون الوسم منقوشًا على الحجر أو في الأزمنة الحديثة على الإسمنت. وتظهر في بعض الأحيان على الصخور أو أسطح الجِرَفة والمنحدرات، أو محفورة من قبل الرعاة أثناء عبورهم لتلك المناطق.

لاحَظَ أكثر من عالِم تشابه الوسوم للحروف المكتوبة قديمًا في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو نص يُستخدم للغة شبه الجزيرة العربية الجنوبية الغربية، من حوالي القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي. ومع ذلك، بشكل عام، يبدو أن أوجه التشابه هذه، مثل غيرها، هي تداخلات متزامنة لأشكال هندسية بسيطة شائعة بين الثقافات في جميع أنحاء العالم.

يتألف الوسم عادةً من عنصر إلى ثلاثة عناصر. وكل شكل أساس من أشكال الوسم يحمل اسمًا معروفًا بين القبائل المختلفة. وفيما يلي بعض الأمثلة الشائعة.

المطرق	ا
الرقمة	•
الباب	⊓
الحلقة	○
الهلال	∩
العِراض	∴
المقص أو الجلم	X
المغزل	T
الحية	⌇
الطحيحي	ل
المشعاب	۱
الباكورة	⌐
المشط	⋿
المضباع	⊼

جيمس بي مانديفيل تقاعد من العمل في أرامكو السعودية في عام 1995 وكان موظفًا في إدارة سياسات وتخطيط الشؤون الحكومية. وهو مؤلف كتاب Flora of Eastern Saudi Arabia "النباتات في شرق المملكة العربية السعودية" (Kegan Paul International, 1990) Bedouins Ethnobotany أو "النباتات البدوية" (University of Arizona Press, 2011). وهو يعيش بالقرب من توكسون في ولاية أريزونا.

المقالات ذات الصلة على الموقع الإلكتروني aramcoworld.com
النقوش على الصخور في الجزيرة العربية: 02 M/A

فنُّ صناعة الرحال والأقتاب

بقلم
دوغ باوم

تصوير
نِك كيلر

منذ الأيام الأولى من التدجين، شكّل الجمل تحديًا فريدًا: كيف يمكنك ركوب حيوان يوجد سنام في منتصف ظهره؟

من المثير للدهشة أن عددًا قليلًا من الدراسات قد ركزت على التقنيات التي تسخّر إمكانات عمل الإبل، من آسيا مرورًا بشبه الجزيرة العربية إلى غرب أفريقيا. ومما لا يثير الدهشة، أن الدراسات الاستقصائية من هذا النوع ليست دائمًا ذات أهمية كبيرة لكثير من رعاة الإبل ومن يمتطي ظهورها.

يقول عادل حمزة، 55 عامًا، الذي يأخذ السيّاح في جولات على ظهر الجمل في منطقة الأهرامات في مصر: "هذه هي الطريقة التي استخدَمَها والدي وجدّي من قبل".

يقول محمد عبد الحي، طبيب بيطري في القاهرة يعمل في مجال الإبل: "نحن مشغولون للغاية في إجراء دراسة تاريخ تطوّر معدّات وأساليب ركوب الإبل".

يشير ريتشارد بوليت، في كتابه The Camel and the Wheel أو "الجمل والعجلة" الذي صدر في عام 1975، إلى أنَّ رَحل الجمل الأول كان على الأرجح بطانية أو حصير، حيث يمكن من خلالها وضع حِمْل متوازن على اليسار واليمين.

يسمح الجمل العربي (أُحادي السنام) للراكب الجلوس أمام السنام أو أعلى السنام أو خلف السنام؛ أما في الجمل ذو السَنَامَيْن فيتم وضع الرَّحْل بين السَنَامَيْن. إذن ليس من المستغرب أن رحال الجمال وأقتابها تختلف باختلاف الثقافات التي تصنعها والعمل الذي تقوم به الإبل، وكذلك الموارد المتاحة لتصنيع الرَّحْل. عمومًا، في المناطق التي يكون فيها الخشب وفيرًا، يجد المرء أدوات غريبة الشكل وأكبر؛ وفي المناطق الأقل ثراءً بالموارد، تميل التصميمات إلى الحد الأدنى من الأدوات.

إحدى هذه المناطق الشحيحة بالخشب هي القرن الأفريقي، حيث تشير بساطة الرَّحْل إلى بدايات استخدامها: في هذه المنطقة تُستخدم الرحال من أجل حمل الأشياء وليس بغرض الركوب. زوجان من الأعمدة مصنوعان من أغصان الأشجار وتوضع فوقهما بطانيات أو جلود أو حصير، يوضعان بشكل متصالب على وركيّ وكتفيّ الجمل ويلتقيان على جانبي البطن من الأسفل. يقول عبدالكريم

1 الصومال

2 جنوب شبه الجزيرة العربية

3 شمال شبه الجزيرة العربية

4 شمال شبه الجزيرة العربية

أدهان، راعٍ سابق، "ليس لدى البدو الرُحّل وقت لتزيين تلك الأعمدة! الأهم هو أن تؤدي الغرض المطلوب منها".

2 شرقًا عبر البحر الأحمر، تَطَوَّر رحل الجمل في جنوب شبه الجزيرة العربية مع ازدهار تجارة البخور البري، وما زال يُستخدم في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية. وبفضل هذا الرَّحْل، يجلس الراكب خلف السنام. وتُستخدم في الرَّحْل وسادة على شكل نصف دائري تسمى المحوي، توفر مسندًا للظهر وكابحًا لمنع انزلاق الراكب من على ظهر الجمل. غالبًا ما يتم تزيين المحوي بأشكال هندسية، حيث إن المحوي يُثبَّت حول جانبي الجمل باستخدام شريط منسوج من شعر الماعز يطلق عليه اسم الكفال. ويتم ربط هذا الشريط في المقدمة باستخدام حزام مقوس أحادي أو ثنائي مصنوع في الغالب من أشجار السنط. يقول حمود الوهيبة، راعي إبل بدوي من عمان، إن هذا يسمح بالركوب وبالحمولة الثقيلة على حدّ سواء باستخدام أكياس من الصوف معلقة على الجانبين.

من المحتمل أن تكون ثقافات الإبل في بلاد بابل وآشور هي أول ثقافة تواصلت مع ثقافات أخرى تستخدم الخيل، ومن المرجح أنّ تفوّق الخيول في الحرب أدى إلى ظهور الرَّحْل الخاص بشمال الجزيرة العربية، الذي يتم وضعه على أعلى السنام - أفضل موضع يمكن من خلاله القتال بالرمح والسيف. يكون هذا الرَّحْل مدعومًا بوسادتين من الصوف أو قماش القِنّب محشوتان بالحشائش أو ألياف النخيل أو القش ويتم تثبيتهما على جانبي السنام من أجل تسوية محيط ظهر الجمل. ويتم وضعهما في الوسط وبالقرب من رأس الجمل حتى يتمكن الراكب من السيطرة على الجمل.

3 إن إطار الرَّحْل في شمال شبه الجزيرة العربية عبارة عن قطعتين مقلوبتين على شكل حرف Y مصنوعة من خشب الطرفاء - توضع واحدة أمام السنام وواحدة خلفه - متصلتان بقطعتين من كل جانب. يمكن أن يمتد العمودان الأمامي والخلفي بهذا الرَّحْل عاليًا بدرجة كافية لتعليق حاجيات الراكب، في واحد أو أكثر من أكياس الرَّحْل المنسوجة يدويًا، وغالبًا ما تكون مصبوغة بألوان جميلة وتسمى الخرج.

4 تُعلق الشرابات (كراكيش الزينة، ومفردها كركوشة) المتدلية من هذه الأكياس أسفل بطن الجمل وتتأرجح مع مشية الجمل - تكون مزينة ومزخرفة بعناصر متكررة تطرد الذباب عن الجمل. ويُعلّق مسند قدم من الجلد، أو معرجة، محشو بوبر الجمل أو الصوف، من الأمام.

إنه مشهد يمكن رؤيته بوضوح: بدوي يمتطي جملًا على رَحْل مزخرفٍ بالكامل. في رحلة قبل بضع سنوات، بصحبة رفيقي البدوي صالح، 55 عامًا، التقيت بشاب يمتطي جملًا على رَحْل مزخرف بشرّابات معلقة من كل مكان ممكن. وكان للحبل المقود عقدة مزخرفة من شعر الماعز فوق جسر الأنف، وكانت المعرجة لامعة وجديدة. سألت صالح لماذا جملنا غير مزيّن بالعناصر المزخرفة مثل جمل هذا الشاب، أجابني قائلًا: "أنا رجل عجوز ومتزوج. بينما هو لا يزال شابًا ويبحث عن زوجة"!

5 في وسط شمال أفريقيا، يعتبر الرَّحل الذي يعتمده الطوارق واحدًا من نوعين فقط من الرِّحَال التي تستخدم كتف الجمل فقط. وتعود أصوله إلى الاستجابة للحاجة إلى أقصى قدر من سيطرة الراكب على الجمل، حيث يجلس الراكب على مقدمة السنام من الأمام مما يجعله قريبًا من رأس الجمل بقدر الإمكان.

يقول سيدي عمار تاهوا، من بدو الطوارق: "الحرفيون المتخصصون يستغرقون من ثلاثة إلى أربعة أشهر لدمج الخشب والجلد لصنع كل رَحْل". ويضيف قائلًا: "أحيانًا أجراس النحاس الصغيرة تتدلى من الرَّحْل، وتضفي الرسومات والتعبيرات الفنية المتنوعة أدلة على المنطقة والقبيلة".

6 بالنظر إلى المناطق التي تقع شرقي شبه الجزيرة العربية، فإن الموارد وفيرة نسبيًا كما في ولاية راجستان شمال غرب الهند. حيث يوجد بيلارن وهو عبارة عن أدوات مزخرفة من الخشب والنحاس مع ثلاث وسائد جلدية محشوة بالحشائش، وتثبَّت واحدة على كلٍّ من جانبي الكتفين وواحدة خلف السنام. على جانبي الجسم، على ارتفاع القفص الصدري، يوجد ساقا خشب متصلتان بثلاثة أقواس خشبية على مقدمة ومنتصف ومؤخرة ظهر الجمل. حيث تلتقي تلك القطع الخشبية في قطعة من النحاس تصلها ببعضها، ويمكن أن تكون مطعَّمة بالخشب مع النحاس أو الفضة أو الفولاذ المقاوم للصدأ. وغالبًا ما يُوضع قماش ملوّن مطرز بزخارف نباتية أو حيوانية على الرَّحْل بأكمله. ويمكن لهذا الرَّحْل أن يتسع لراكبين، أحدهما أمام السنام والآخر خلف السنام (غالبًا ما تكون قصة ماهندرا وموال الرومانسية الهندية مصحوبة بصور للزوجين جالسين على رَحْل جمل).

7 في آسيا الوسطى، يقدم الجمل ذو السَنَامَيْن حلًّا خاصًا به. ويتضمن الرَّحْل الأكثر شيوعًا قطعة قماش بين السنامين، فوق وسادة أو بطانية، مع وجود "سياجين للوقاية" متصلين ببعض ومعلقين أسفل كل جانب، بالإضافة إلى مسند قَدَمْ من أجل الراحة. أما زخرفة الرَّحْل فتكون في الغالب عبارة عن تطريز في شكل زخارف تقليدية.

8 بالنسبة للتحميل على ظهر الجمل ذو السَنَامَيْن، يتم ربط العتاد بأعمدة خشبية، واحدة على كل جانب، وتحتها وسائد صوف مستطيلة الشكل ومحشوة بالقش.

هذه التقنيات ليست كل شيء. نظرًا لتضاؤل أدوار ثقافات الإبل في جميع أنحاء العالم، فإن فن وهندسة رَحْل الإبل يقدمان نوافذ تحمل نظرة أعمق على تاريخ تلك الثقافات. 🌐

دوغ باوم (texascamelcorps@gmail.com) قاد رحلات الإبل التجارية في مصر والأردن والهند والمغرب منذ عام 2003، وفي تكساس منذ عام 1998. هذا المقال مقتبس من بحث تم تقديمه في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن. يعيش مع أسرته وإبله - ستة من الجِمال العربية وثلاثة من الجِمال ذات السَنَامَيْن - بالقرب من واكو، تكساس. تابعه على فيسبوك، وإنستاغرام، وتويتر @texascamelcorps.

8 **حزمة الجمل ذو السَنَامَيْن**

7 **الجمل ذو السَنَامَيْن**

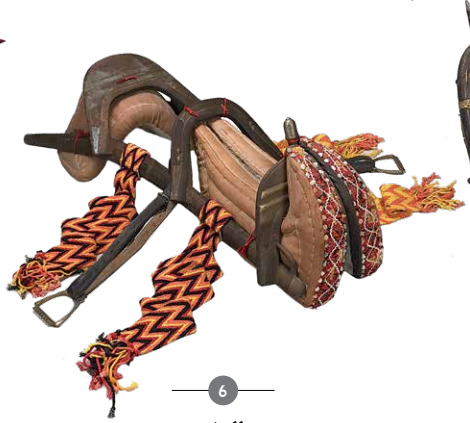

6 **الهند**

5 **الطوارق**

OPPOSITE, TOP: EGYPT, C. 1850. PHOTOGRAPHER UNKNOWN / V&A

طعم لحم الحاشي

أحتفظ بسرّ كبير؛ وهو أنني لا أجيد الطبخ. قد أقتات على شطائر الجبن وحبّات الفاكهة واللحوم من وقت لآخر مدى الحياة. والدتي لا تعرف هذا السرّ.

لذا، لن تكون مفاجأة أنني، كامرأة من السعودية، لم يسبق لي أن أكلت لحم الحاشي أبدًا. أو شربت حليب الإبل.

وبالرغم من أنني لا أشعر بالذنب تجاه ما ذكرتُ أعلاه، لكنني مهتمة باستكشاف هذا النوع من الطعام. هذا ما دفعني إلى التوجه إلى الخيمة في الرماح، على بُعد ساعتين من الرياض، في مهرجان الملك عبد العزيز للإبل. جئت وأنا أعلم أنه خلال الأيام القليلة المقبلة، سآكل لحم الحاشي.

لقد استغرق الأمر بضع ساعاتٍ فحسب.

١: شطائر لحم الحاشي والبطاطا تقدم مع عصير المانجو في مقهى اللوفر أبوظبي. 2: أضف الماء إلى مسحوق حليب الإبل من إنتاج كاميليشيس. 3: اغسل شعرك بشامبو كاميلور المصنوع من حليب الإبل. 4: حلوى من منتجات الصحراء مع الآيس كريم بنكهة التمر في الفنار في أبوظبي. 5: قطع من لحم الحُوار (الجمل الصغير) تأتي مع بهارات الكاجون في محطة الجمل (CML Station)، أبوظبي. 6: يقدَّم بسكويت كوكيز المصنوع من حليب الإبل في علبة. 7: يأتي الآيس كريم المصنوع من حليب النوق بنكهات مختلفة تشمل الفستق والمستكة العربية. 8: تُباع قطع الصابون المعطرة من إنتاج Camel Soap Factory بكثرة للسيّاح. 9: تتوفر شوكولاتة النسمة بحليب الإبل المغلفة برقائق مُذهّبة في خمس نكهات. ١٠: سلطة الحُوار في CML Station؛ ١١: مشروب الطاقة وحليب من إنتاج كاميليشيس.

بقلم **سارة البسام**

تصوير **حاتم عويضة**

"**العشاء** جاهز".

تأتيني الكلمات مع الكثير من الترقب.

العشاء، كما اتضح، كان من لحم الجمل. قاموا بتقسيم جزء من جمل واحد بين خمس صواني فضية كبيرة، في كل منها أرزّ وخضروات.

أسأل رفاقي قائلةً: "هل تأكلون لحم الجمل كثيرًا؟"

تجيب ندى قائلةً: "ليس دائمًا". "نحن نأكل لحم الحاشي عندما يزورنا ضيوف مهمّون. وخلال شهر رمضان. يجب أن نأكل لحم الحاشي في رمضان".

وتضيف قائلةً: "نشتري جملًا كاملًا صغيرًا ونقسّمه بين المنازل"، فبإمكان جمل واحد إطعام عدة مئات من الأشخاص.

وتوضح أن لحم الحاشي "طيب وشهي جدًا". وهذا يعني أنه لحم جمل يتراوح عمره بين ستة أشهر وسنة واحدة، ويُطلق عليه (الحُوار).

تقول: "يكون قد كوَّن ما يكفي من اللحم عند بلوغ هذا السن، وهو أيضًا لذيذ وطري". "هذا ما سنأكله اليوم".

عجبًا! كنت قد أعددت نفسي لأكل لحم الجمل، ولكن ليس لحم الحُوار. رفْض تناول الطعام لم يكن خيارًا. "كيف سيكون طعمه؟"

تجيب: "مثل طعم لحم الضأن".

في وقت لاحق من المساء، يحكي لي، محمد الرشودي، مضيفنا في المهرجان، قصصًا عن تربية ورعي الإبل. كان الجمل المفضل لديه جملًا نفقت أمه عندما كان صغيرًا. "كنت مستاءً جدًا عندما مات ذلك الجمل".

أسأل محمد قائلةً: "كيف يمكنك أن تأكل الإبل وأنت الذي ربيتها ورعيتها؟"

يرد مبتسمًا: "طعمها لذيذ وشهي". "وإلى جانب ذلك، فإن الغرض منها هو أن تؤكل".

هذه هي النقطة التي أخطأ فيها محمد.

قبل أن يهتم البشر بأكل لحم الحاشي، كانت الإبل أولًا وقبل كل شيء وسيلة لعبور الصحراء والبقاء على قيد الحياة فيها. إنها مهمة تمتَّعتْ بها الإبل من خلال تطوير أقدام مبطنة، ورموش طويلة للحماية، وبالطبع القدرة على السير لأسابيع من دون شرب ماء. يوفر وَبَرها وجلودها ملابسًا وملجأ، وحتى روثها الذي يكون على شكل كريات - عديم الرائحة تقريبًا - يمكن حرقه لطهي الطعام. ناهيك عن الحليب المغذي. إنها تُدعى "سفن الصحراء" لأسباب وجيهة.

لكن يبدو أن هذه الوظيفة قد تغيَّرتْ.

في اليوم التالي، أسأل زملائي عما إذا كان قد سبق لهم تناول لحم الحاشي أو حليب الإبل من قبل.

يقول "جاسون"، وهو أحد المصورين،: "تلقيت دعوة إلى مزرعة صديق، وشربت حليب الإبل، مباشرةً من الضرع إلى الوعاء ثم إلى الفم". "كان الحليب لا يزال دافئًا في الكوب. وكان طعمه حاليًا جدًا".

SLIDERS, ICE CREAM, SOAP, CHOCOLATE. RICHARD DOUGHTY

صواني لحم الحاشي مع الأرزّ هي الطعام التقليدي لأصحاب الإبل ومربيها وأفراد الأسرة في مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل السنوي بالقرب من الرياض، المملكة العربية السعودية. قد يكفي لحم جمل واحد لإطعام ما يصل إلى مئات الأشخاص. قبل اختراع البرّادات، كان هذا يعني أن الجمل لا يُذبح إلا في المناسبات الهامة.

يقاطع حاتم، المصور الفوتوغرافي، "حقًا؟". "أنا أيضًا شربته مباشرةً من ضرع الجمل، ولكن الحليب كان مالحًا".

يشارك محمد تجربته الخاصة: "في الواقع، أجد حليب الإبل حامضًا جدًا".

ثلاثة أشخاص بثلاثة انطباعات مختلفة: هل تعدد الآراء والأذواق حول مذاق حليب الإبل يشبه النقاش الذي يدور حول الموضة على هاشتاق#TheDress؟

في سوق المهرجان، قابلت أم عبدالله، وهي امرأة مسنة تبيع لجام الإبل. وسألتها ما إذا كانت قد أكلت لحم الحاشي من قبل. فضحكت.

وترفع عينها وتقول: "ابنتي، لقد اعتدت على تربية الإبل وحلبها بنفسي". اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: "نحن في المدينة الآن. لكنني امرأة بدوية. أنا لست سوى بدوية تعيش في المدينة".

إنها ترفض مشاركة وصفتها لإعداد لحم الحاشي. وتقول: "تستخدمين ببساطة التوابل نفسها التي تستخدمينها لطهي لحم الضأن". "كل شخص لديه المزيج المفضل من التوابل". وبدلًا من ذلك، تشارك وصفتها فيما يخص حليب الإبل.

تقول: "إنها الوصفة الأفضل خلال فصل الشتاء". "أو بإمكانك تسخين الحليب مع بعض الأعشاب الصحراوية وتركه ليتخمر، فيصبح مثل اللبن الرائب".

كَتَبْتُ الوصفة، وهي: حليب الإبل المبستَر، وزنجبيل، وسكر، وحبّ الهال أو الهيل، وفلفل أسود (اختياري)، وهذه هي الوصفة ببساطة.

في الجوار، كانت أم محمد سعيدة بمشاركة وصفتها لطهي لحم الحاشي. تقول: "أنا فقط أطهو لحم الحاشي مع الأرزّ، مثل الكبسة. ولا يُطهى بطريقة أخرى". "وأضع القرفة والليمون المجفف وأوراق الغار والقرنفل وحبّ الهال. لكنني لا أحب لحم الحاشي".

وتستمر في القول: "أعلم أنني من البدو، وقد أكلت لحم الحاشي كثيرًا. إنه لحمٌ صحيّ، لكنني ما أحببته أبدًا".

في أقصى عمق السوق، سألتني أم زياد ما إذا كنت مهتمةً بالتوابل. فسألتها ما إذا كان لديها توابل للحم الحاشي.

ردت عليّ قائلةً: "كل هذه التوابل للحم الحاشي"، وتضيف "إن مزيجي الخاص من التوابل مميّز جدًا. لا أستطيع أن أقول لكِ عن مكوناته، لذا، لا تسألِيني".

تقول "إن طريقة طهي لحم الحاشي تشبه طريقة طهي لحم الضأن تمامًا، إلا أن لحم الحاشي يحتاج إلى ضِعف الوقت حتى يصبح طريًا".

قلت لها أريد طريقة أثير بها إعجاب الضيوف. ترشدني قائلةً: "استخدمي مزيجي الخاص من التوابل على البصل لإعداد الكبسة الشهية، واقليهما معًا قبل أن تضعيهما في اللحم". "أو إذا كنتِ ترغبين في إثارة الإعجاب بطهيكِ حقًا، فحضِّري الهريس مع لحم الحاشي. ولكن لا تستخدمي أي توابل".

الهريس هو طبق يشبه العصيدة، وهي وصفة تقليدية من نجد، المنطقة الوسطى في المملكة العربية السعودية. وتوجهني قائلةً: ضعي اللحم على النار حتى يستوي "نصف استواء، أو حتى تذوب الدهون قليلًا". ثم أضيفي الهريس (قمح أو برغل مجروش، قد يفي بالأمر). وأضيفي الماء، ثم اغلي الخليط.

تنظر إليَّ وتقول: "أو يمكنني أن أريكِ طريقة الطهي. اتصلي بي عندما تنوين الطهي".

وأعطتني رقم هاتفها دون تكلُّف.

بالعودة إلى المهرجان، يعطيني الدكتور سعيد السويلم خلاصة بشأن فيروس كورونا الذي يفهمه القليلون جدًا والمعروف أيضًا باسم متلازمة الشرق الأوسط التنفسية، أو اختصارًا MERS، والتي ظهرت في عام 2012 في المملكة العربية السعودية. وكانت ذروتها في عام 2015، حيث أودت بحياة أكثر من 500 شخص.

تم اكتشاف أن مصدر الفيروس هو الخفافيش، لكن الإبل أيضًا كانت حاملةً للفيروس. وأدى ذلك إلى انتشار المخاوف حول حليب الإبل ولحومها.

يقول د. السويلم: "فيروس كورونا في الإبل شائع مثل الزكام لدى البشر"، "ولطالما كان موجودًا". ويشرح: "لا يوجد أي دليل على أن السلالة التي تصيب البشر تنتقل إليهم عن طريق الإبل". ولكن فقط للتأكد، الحل بسيط: "إذا كنتِ ستشربين الحليب، فتأكدي من أنه مبستَر". وماذا عن اللحوم؟ "طهي اللحوم جيدًا مهم للوقاية من جميع أنواع الأمراض".

أخبرني الشقيقان، محمد ونواف السهلي، أنهما لن يتناولا لحم الحاشي "أبدًا"، وليس بسبب سلامة الغذاء.

يقول محمد، الأخ الأكبر: "أنا لا أحب لحم الحاشي". "إنه عسير المضغ. كما يحتوي على الكثير من العظام. لكني أحب حليب الإبل كثيرًا".

يقول: "اعتدت أن أذهب إلى سوق الإبل مع جدي لشراء اللحوم وطهيها". "كان لدى جدي ناقة وكنا نشرب حليبها. لكننا بعناها بعد وفاته، وتوقفنا عن شرب حليب الإبل بعد ذلك".

نواف يوافق شقيقه في الرأي. "أنا أفضّل لحم الضأن".

عندما قابلت فوزان الماضي، الذي كان بين المشرفين على سباقات الهجن والجولات في مسابقات المزاين. سألته: "ما الذي تبحث عنه لتحديد ما إذا كان الجمل سيكون رابحًا في المسابقات أو يصلح ليكون طعامًا؟".

يقول: "يمكنكِ أن تحددي ذلك من خلال سُلالَة الجمل، ما إذا كان الوالدان يتمتعان بالسرعة أم بالجَمال، ولكن يمكنكِ أيضًا تحديد ذلك عندما يكون صغيرًا. سيُظهر جملٌ يبلغ من العمر ستة أشهر، علامات الجمال في عيونه، وفي شكل رأسه؛ أو ستكون سرعته أعلى من متوسط سرعة الجِمال.

تُباع الإبل غير الجميلة أو غير السريعة إلى المسالخ. يقول: "هذا إذا كانوا ذكورًا"، "ونحتفظ بالإناث لحليبهن وللتكاثر".

الماضي هو عضو في مجلس إدارة نادي الإبل في المملكة، وهي الهيئة الرسمية المُشكّلة حديثًا والتي تدمج فعاليات الإبل في المملكة العربية السعودية تدريجيًا تحت مظلة إدارية واحدة، وبهذا يدفع بثقافة الهجن إلى آفاق جديدة.

قال الماضي في بيان صحفي: "الإبل هي رمز للمملكة العربية السعودية". "لقد اعتدنا على الحفاظ عليها بدافع الضرورة، والآن نحن نحافظ عليها للترفيه".

قد يكون من المثير للدهشة أن المملكة العربية السعودية، التي تحتوي على 1.4 مليون رأس من الجِمال ذات السنام الواحد في العالم، لا تحقق المزيد من الفوائد الاقتصادية من صناعات الإبل باستثناء جلود الإبل غير المعالجة. لا توجد حتى الآن مزارع إبل تجارية رئيسة، ناهيك عن أي منتجات مشتقة كبيرة من لحوم الإبل أو حليبها. تُعد الأسواق الأسبوعية، المحلية المصدر، هي الأكثر موثوقية للحوم الإبل وحليبها، حيث يتجمع المزارعون من البلدات والمدن المجاورة لبيع منتجاتهم، أو مباشرةً من أسواق الإبل.

يخبرني الماضي قائلًا: "سوف يتغير كل هذا". "ستكون هناك مصانع لمنتجات حليب الإبل، وسنصدّرها".

في المهرجان، هناك علامات على ذلك. إحدى تلك العلامات مرسومة على شاحنة طعام تقدم برغر لحم الحاشي. توجد صورة كاريكاتورية لجمل مع فقاعة كلام تحتوي على نص باللغة الإنجليزية، "Born to be hamburger" أو (ولدت لأكون شطيرة برغر).

إنها عبارة رمزية، وأنا متأكدة تمامًا أنه ما من جملٍ يقول ذلك!

هناك نوعان من شطائر البرغر في القائمة: الحاشي والدجاج. أُدرك أن هذا المقام ليس عن الدجاج. وصلت إلى المحاسب وسألته عما يوجد في برغر الحاشي.

قال: "نضيف أوراق الجرجير لاذع الطعم وصلصتنا الخاصة السرية". "تكون رائعة مع لحم الحاشي".

تناولت أول لقمة. كانت غضة. وطرية. ومقرمشة قليلًا. وكانت توابل أوراق الجرجير شهية. في النهاية، إنها شطيرة برغر. وليست بالشيء المهول.

أخبرني المحاسب أن مالك المشروع يمتلك مزرعة خاصة يُربّي فيها الإبل ويذبحها. وهو الذي يتبّل اللحم بنفسه. يوفّر جملٌ واحد شطائر برغر تكفي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام عمل. "ويزداد الطلب أكثر فأكثر. في البداية فوجئ الناس برؤية شطائر برغر بلحم الحاشي، لكنهم جرّبوها". "إنها طريقة مختلفة لتناول شيء مألوف".

في رحلة العودة إلى الفندق، أخبرت ناصر، سائق الأوبر، أنني تناولت لحم الحاشي لأول مرة في حياتي.

فقال: "رائع! فهو ما زال يرضع من والدته!" ثم قال: "لا بدّ أن طعمه كان لذيذًا".

يبدو أن ناصر كان لديه الكثير ليقوله عن لحم الحاشي.

"هل تعلمين أن أفضل جزء من الجمل ليس السنام، ولكن تحت السنام، حيث تجعل دهون السنام اللحم لذيذًا وطريًا؟".

ولا تحاولي أن تأكلي اللسان أيضًا. إنه عسير المضغ بسبب تناول الجمل جميع النباتات الصحراوية الشائكة. إنه ليس مثل لسان الضأن.

ويتابع، وهو ينظر من خلال مرآة الرؤية الخلفية، متحمسًا وقائلًا: "آه، أراهن أنكِ لم تكوني تعلمين هذا أيضًا".

"يتغير طعم حليب الإبل اعتمادًا على ما ترعى عليه الإبل في ذلك اليوم. إذا أَكَلَتْ الأعشاب الصحراوية، فيكون حليبها مالحًا، لكن إذا أَكَلَتْ التمر، فأنتِ محظوظة. إذ سيكون حليبها حلوًا".

وهكذا حلّ ناصر لغز طعم حليب الإبل!

بَعْدَ العودة إلى المنزل، كنت أفكر في الأشخاص الذين قابلتهم. روى الكثيرون قصصًا عن أقارب لهم أكبر سنًا ممن حافظوا على عادات تربية الإبل وشرب حليبها وأكل لحومها، لكن هذه العادات نادرًا ما تبقى بعد هذا الجيل. بالنسبة إلى الكثيرين، فإن الحاجة إلى الانتقال إلى المدينة تُغيِّر كل شيء.

تخلّيت عن تلك العادات منذ عدة أجيال عندما غادر جدي الكبير قريته وسلك طريق التجارة واستقر في خارج المملكة. أصبح والداي الجيل الأول من ذريته الذي يعود إلى المملكة العربية السعودية. في حين أن هناك العديد من العادات التي تمسّكنا بها ومررناها لمن بعدنا، لكنّنا فقدنا بعضها.

بالبحث عن وصفات لحم الإبل المنشورة، أو وصف طريقة طهيها، أشعر بالصدمة إلى حد ما، إذ أن كلاهما نادر الوجود. سواءً أكانت كتب الطبخ عربية أم إنجليزية، وكتبها مؤلفون عرب أم زائرون أجانب، فإن النقص واضح.

أَقْدَم كتاب طبخ سعودي يمكن العثور عليه، "فن الطبخ السعودي"، تم نشره في عام 1987 من قبل جمعية النهضة النسائية الخيرية. هناك تنويه إلى: "ننقل إلى بناتنا... تجربة مطبخنا المحلي الذي نعتز به، والذي سرعان ما سيُنسى". يحتوي الكتاب على وصفة لديك رومي محشو، ووصفتين لأدمغة الضأن، ولكن لا توجد أي وصفة للحم الإبل.

بالعودة إلى أبعد من ذلك - بعيدًا جدًا - هناك ترجمة المستشرق آرثر جون آربري لكتاب الطبخ، وهو كتاب طهي نُشر في عام 1226م من قبل العالِم البغدادي، شمس الدين البغدادي. ويحتوي الكتاب على 164 وصفة، ولكن ما من وصفة واحدة عن لحم الإبل.

١: بيتزا بلحم الحُوار في CML Station. 2: يقوم الشيف فرانسيس مونغاي نجوغو بتحضير لحم الحاشي المفروم من أجل صلصة البولونيز في مطعم سويتش، والذي تقدِّم قائمته (الصورة 3) العديد من الأطباق المصنوعة من لحم الحاشي.

لمساعدتي في فهم ذلك، تحدثت مع الطاهية ومؤلفة كتب الغذاء أنيسة حلو، التي ألَّفت تسعة كتب عن الطبخ. أحدث أعمالها، "وليمة: مأكولات العالم الإسلامي"، يتضمن فصلًا عن تجربتها الخاصة مع لحم الإبل.

تشرح أنيسة قائلةً: "لم يكن الناس يأكلون لحم الإبل في الماضي لأنها كانت من الدواب المخصصة لنقل الأمتعة". وهذا جعلها من الفخامة بمكان، "أكثر ارتباطًا بالأعياد والاحتفالات".

وهي تشرح أن جودة اللحم تختلف باختلاف طريقة القطع وعمر الجمل. تقول: "اليوم يؤكل لحم الإبل على مستويات [اجتماعية-اقتصادية] مختلفة، وأماكن مختلفة المستوى أيضًا". وتقول: "يمكن أن يكون لحمًا رخيصًا، وهو الجمل العادي، المخصص لنقل الأمتعة، أو يمكن أن يكون غاليًا، وهو الحوار [الحاشي] الذي يكون طعمه رائعًا بشكل لا يصدق".

أعلم أن هناك مكانًا تصبح فيه توقعات الماضي لإنشاء المصانع ومنتجات الإبل حقيقةً.

توجهنا نحو الجنوب إلى العاصمة أبوظبي.

في دولة الإمارات العربية المتحدة، توجهنا إلى مطعم عصري يدعى Switch أو سويتش، حيث تشتمل القائمة على قسم كامل بعنوان "لحم الإبل". شطائر لحم الإبل، وبرغر لحم الإبل، وحتى صلصة البولونيز بلحم الإبل. تذوَّقنا الأصناف الثلاثة.

كان في رفقتي حاتم، المصور الفوتوغرافي، ومريم، زميلة سعودية تعيش في أبوظبي.

أقرّت مريم بأنها لم تأكل لحم الإبل أبدًا.

وتقول: "قالوا لنا في صغرنا أنّنا إذا أكلنا لحم الإبل، فسيصبح قلبنا قاسيًا لأن اللحم قاسٍ".

تناوَلَتْ ملعقة من صلصة البولونيز. توقَّفَتْ قليلًا. مَضَغَتْ. ثم ابتلَعَتْ الصلصة.

وقالت أخيرًا: "أفضل مما كنت أتوقع".

"ولكنني لن أتناول أكثر من ملعقتين. هل التقطت صورتك؟ هل انتهينا؟"

تتذوق مريم الهبيدي لأول مرة صلصة البولونيز الذي يحضرها الشيف نجوغو في مطعم سويتش. رأيها فيها: "أفضل مما كنت أتوقع".

في المطبخ، يقول الشيف فرانسيس مونغاي نجوغو إنه لم يطبخ أبدًا لحم الإبل قبل أن يأتي إلى مطعم Switch، لكنه نشأ في كينيا حيث كان يشرب حليب الإبل.

ويقول: "المهم هو جودة اللحوم". "يُطبخ لحم الإبل بسرعة، لأنه طري جدًا، ولكن طراوة اللحم تعتمد على عمر الحيوان".

يقدم المطعم كل من برغر لحم الإبل ولحم البقر، لكن نجوغو يقول إن لحم الإبل أكثر شعبية على الرغم من أنه أغلى ثمنًا. "معظم عملائنا من السكان المحليين، لذلك هم معتادون على لحم الإبل، وأصبحوا عملاء دائمين لأنهم يحبون طعمه".

كانت محطتنا التالية في CML Station أو (محطة الجمل)، حيث تقدم القائمة سلطة لحم الخُوار ومكعبات لحم الخُوار وبيتزا لحم الخُوار. لقد استغرق الأمر بعض الوقت لأُدرك أن اسم هذا المطعم ليس مجرد اسم مختصر. لقد تم افتتاحه في العام الماضي، مما يجعله قديمًا - أو حديثًا - مثله مثل بعض أطباق الحاشي. يقول حبيب، المدير العام للعمليات في Murban Restaurant Management، إنها واحدة من العديد من العلامات التجارية للأغذية والمشروبات التي تديرها، بما في ذلك Camel Cookies أو كَمِل كوكيز، التي افتتحت قبل أربع سنواتٍ.

يقول حبيب: "إن السكان المحليين على دراية بالعالم من حولهم". "إذا قدَّمتَ لهم بيتزا بلحم الإبل، فسوف يقبلونها. إنهم على دراية بالبيتزا ولحم الإبل على حد سواء".

يجذب هذا المفهوم السيّاح أيضًا. ويقول: "إنهم يسألون دائمًا لماذا لا يوجد مطبخ إماراتي". "بهذه الطريقة يمكنهم أن يقولوا رأيت جملًا، وركبت جملًا، وأكلت جملًا".

لقد وصَلَتْ وجبتنا، وهي مكعبات لحم الخُوار الاستثنائية المفضلة. قطع اللحم الأصغر حجمًا تكون طريةً تمامًا، وتُقدم مع طبق البطاطا وبعض توابل الكاجون غير المحلية.

يقول حبيب: "مطعمنا هو تطور حديث لرمز ومنتج وطني".

لقد حان وقت شرب الحليب!

في ضواحي مدينة دبي تقع إحدى أكبر مزرعتي ألبان إبل في الإمارات، وهي مزرعة كاميليشيس. وصلنا إلى المزرعة، بينما كانت الإبل تصطف وتدخل إلى قفص، ويقوم العمال بتوصيل ماكينات الحلب الآلية بالضرع في كل ناقة.

يقول كريم، مندوب كاميليشيس: "تمّ ابتكار آلات حلب الإبل هنا"، حيث أشار إلى أن كل جلسة حلب تستغرق حوالي خمس دقائق وتنتج من خمسة إلى سبعة لترات.

ويقول إن المزرعة بدأت عام 2003 مع 16 جملًا. والآن تحتوي على أكثر من 6000 جمل.

اتضح أن كريم يروّج لمنتجات المزرعة! فهو يقول وهو يشرب كمية من الحليب: "لقد تغيرت بشرتي وشعري منذ أن بدأت شرب حليب الإبل كل يوم". "إنه أغلى ثمنًا من حليب البقر، ولكنه بالتأكيد ليس أغلى ثمنًا من حقن الكولاجين".

كما أن حلب الإبل أكثر دقةً من حلب الأبقار. تُنتج الإبل الحليب لمدة تتراوح بين 14 و18 شهرًا بعد ولادة الخُوار، لكن المدهش هو أنها لا تُنزل الحليب إلا لإرضاع الخُوار، وإذا انفصلتا، فإنها تتوقف عن درِّ الحليب.

تقول يوتكا جوهاز، رئيسة قسم الزراعة والطب البيطري في المزرعة: "لدينا مقاربة مختلفة لعلاقة الناقة بالخُوار. عندما يولد الخُوار، فإننا نبقيه مع الأم. فنحن نشجع هذا الرابط العاطفي".

بعد أسابيع قليلة من الولادة، يبدأ عُمّال المزرعة في تدريب الأمهات عن طريق التأكد من إرضاع صغار الخُوار فقط في أقفاص الحلب. وفي الأقفاص، يتطور الرابط بين "طقطقة لسان" المُدرب والإرضاع. يمكن بعد ذلك، تدريجيًا، استخدام ماكينات الحلب الآلية لحلب الإبل.

وهناك عنصرٌ آخر مهم، وهو الرفاه: إذ أنَّ الجمل غير السعيد لن ينتج الحليب. لذلك تمارس الأمهات وصغار الخُوار تمارين يومية على طول المسار، تشبه التجوال في الصحراء، أو قريبًا من ذلك.

تقول جوهاز: "الإبل ودّية للغاية وفضولية للغاية، وهي تتعامل معنا بقلب مفتوح". "نحن نحترمها ولا نريد استغلالها، بل نريد العمل معها".

لقد تخطت مزرعة كاميليشيس مرحلة الحليب كامل الدسم ومنزوع الدسم المعبأ في زجاجات: فهناك النكهات، والحليب المجفف، والآيس كريم، وحتى حليب الأطفال.

يشرف مازن مصطفى على المنتجات الجديدة. ويفخر ببساطة بتشكيلة المنتجات. ويقول: "لا توجد فيها مواد حافظة، ولا هرمونات"، "بل كلها طبيعية وتقليدية".

كما يقول إن حليب الأطفال بديلٌ جيّد للأطفال الذين يعانون من الحساسية تجاه منتجات حليب البقر.

ثم هناك أيضًا مشروب الطاقة، وهو مشروب حليب طاقة جديد. ويقول:

يصطف الحاضرون الجائعون "أمام "The Truck" أو "الشاحنة" لشراء شطائر برغر الإبل (مع البطاطس المقلية) في مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل.

"يحتوي حليب الإبل على جميع الفيتامينات اللازمة للرياضيين. وإنه بديل صحي لمشروبات الطاقة المُحلاة". "ونحن الآن نعمل على إعداد ألواح حليب الطاقة (بروتين بار)".

سألته: لماذا لم يحدث هذا في الماضي؟

يقول "كانت أسرٌ متعددة تدير قطعان الإبل". "وهناك الكثير مما لا نعرفه عن الإبل وحليبها. حليب الإبل هو هدية من ثقافتنا إلى بقية العالم".

يقول محمد أشرف، مدير المبيعات في مزرعة كاميليشيس، أنه في البداية عندما طُرحت زجاجات الحليب في الأسواق في عام 2006، كان من الصعب إقناع جيل شاب من الإماراتيين بتجربتها. "في الفترة ما بين أواخر سبعينيات وتسعينيات القرن الماضي، انقطعت الصلة بأساليب العيش القديمة". لم يترعرعوا على شرب حليب الإبل وبالنسبة لهم، "لقد كان مقززًا"!

ولكن تغيرت فكرتهم الآن. تُنتج المزرعة الآن 3.6 ملايين لتر من حليب الإبل في السنة، ويوزَّع معظمها محليًا بين الإماراتيين والأوروبيين والآسيويين على حد سواء.

يقول أشرف إنَّ ثاني أكبر سوق هو المملكة المتحدة، حيث إنه على الرغم من أن حليب الإبل يكلّف ثلاثة أضعاف ما يكلفه حليب البقر، إلا أنه "يُصنَّف كغذاء خارق". "لذلك فهو مرغوب لدى الأشخاص المُهتمّين بالصحة. إنه سوق متخصص".

لقد حان وقت تناول الحلوى. فبدأنا بتناول الآيس كريم.

يعتقد ستيفان باربير، الذي جاء من فرنسا إلى الإمارات العربية المتحدة، أن العالم بحاجة إلى المزيد من الآيس كريم المصنوع من حليب الإبل.

يقول: "في المرة الأولى التي تناولت فيها حليب الإبل هنا، كان الأمر جديدًا تمامًا بالنسبة لي وأحببته. ورأيت أنه في الواقع أفضل بكثير من حليب البقر. وتحولت إليه تمامًا".

سرعان ما أدرك هو وشريكه في العمل فريدريك كوزيك أن: "أي شيء يمكنك فعله بحليب البقر يمكنك أن تفعله أيضًا بحليب الإبل".

لقد أنشأوا شركتهم "نوق" - والناقة هي أنثى الجمل - في عام 2016.

تتراوح نكهاتها من الفانيلا الأساسية والشوكولاتة إلى "عمليات التهجين" الشائعة في أوروبا والشرق الأوسط، مثل الفستق والبسكويت بالكراميل، بالإضافة إلى النكهات المتخصصة المعروفة فقط في الشرق الأوسط، مثل المستكة العربية.

"جرّبتُ النكهة الأكثر شعبية، الزعفران مع العسل، والتي تستهوي الإماراتيين والهنود، وكذلك الأوروبيين. كان طعمه أحلى مما توقعت".

يضحك باربير ضحكة خافتة ويقول: "آه".

"يعلم الناس أن حليب الإبل مالح مقارنةً بحليب البقر، لذلك يعتقدون أن الآيس كريم المصنوع من حليب الإبل سيكون أيضًا مالحًا. لكن الملح هو محسّن للنكهات. وحليب الإبل أقل دهونًا من حليب البقر، لذلك لا يغطي الدهن محيط الفم، مما يجعلك قادرًا على تذوق المزيد من النكهات".

"المجلس" هو مقهى في دبي مول، يُقدِّم القهوة إمّا مع حليب الإبل، أو في أطباق مطبوخة بسمن الإبل.

تخبرني النادلة أن العديد من الضيوف

ا: في مزرعة الألبان كاميليشيس في دبي، يتم تدريب الإبل بعناية على قبول طريقة الحلب الآلية. 2: تتم بَسْتَرَة الحليب وتعبئته في زجاجات في مجموعة متنوعة من النكهات، تشمل التمور والشوكولاتة والفراولة.

ما الذي يحتوي عليه كوب من حليب الإبل؟

إلى جانب فيتامين E والزنك والسيلينيوم، يحتوي كوب من حليب الإبل أيضًا على القيم الغذائية التالية الموصى بها يوميًا:

- 10% بروتين
- 11% بوتاسيوم
- 15% فسفور
- 30% كالسيوم
- 70% فيتامين B1

١: شوكولاتة مصنوعة من حليب الإبل على شكل جمل يتم نقلها للتعبئة والتغليف في مصنع النسمة في دبي بعد تبريدها. 2: كمل كوكيز، الذي يصنّع كعك الكوكيز بنكهات محليّة ليس فيها شيء من حليب الإبل، لكنه بهذا الاسم يستقطب موجة رواج شعبية من مجتمع راغب في منتجات الإبل. 3: في البداية، جرِّب حليب الجمل مع القهوة أو الشاي، ولا تقلق إذا لم تستمتع بالطعم من المرة الأولى.

المحليين يفضلون القهوة التركية أو العربية التقليدية، وربما بعض التمور - وليس حليب الإبل. وتقول "إنهم يأتون كما لو كان مقهى عاديًا". "حليب الإبل ليس مميّزًا بالنسبة إليهم كما هو الحال مع السيّاح".

يجلس سيلاس وماتيوس، من البرازيل، بالجوار. إنها المرة الأولى التي يتذوّقان فيها حليب الإبل. يطلب ماتيوس كابتشينو.

يتهكم سيلاس قائلًا "هل تذوّقت الرمال؟" بينما يرشف صديقه من الكوب.

زار سيلاس دبي من قبل لكنه لم يهتم أبدًا بتجربة حليب الإبل. "كان ماتيوس يتحدث عن ذلك منذ أن وصلنا إلى هنا. كنت آمل أن ينسى الأمر".

ماتيوس يحب ذلك. "طعمه مختلف. أقوى قليلًا من الكابتشينو العادي".

هل سيتناوله بانتظام إذا كان متاحًا في بلده؟ يقول "ربما ليس كل يوم، لكنني سأتناوله كل أسبوع".

سيلاس لا يحب طعمه. "أين يوجد أقرب ستاربكس؟".

لَمْ أستطع مغادرة دبي قبل زيارة مصنع شوكولاتة بحليب الإبل. أُكرر: مصنع. شوكولاتة بحليب الإبل. وغادرت المصنع ومعي حقيبة مليئة بالشوكولاتة بحليب الإبل. كل شيء ينتهي بشكل أفضل بهذه الطريقة.

قضى مارتن فان ألمسيك القسم الأول من حياته في صناعة الشوكولاتة في مسقط رأسه كولن في ألمانيا. ويقول أن زوجته حنان هي من السودان - "بلد الجِمال" - وكانت معتادة على حليب الإبل. لذلك في عام 2005، عندما سمع الزوجان عن افتتاح مصنع لحليب الإبل في دبي، لم يكن هذا الأمر غريبًا عليهما: تمّ إنشاء شوكولاتة "النسمة" بحليب الإبل بعد بضع سنواتٍ.

وكان التحدي الأول هو وصفة تنجح رغم الدهون القليلة والملح الكثير في حليب الإبل. لكن التحدي الأكبر كان التكلفة، لأن حليب الإبل أغلى بكثير من حليب البقر.

يقول مارتن: "عليك أن تبتكر مُنْتجًا - علامة تجارية - متميزة حقًا". "وهذه واحدة من أغلى أنواع الشوكولاتة في العالم".

من حبوب الشوكولاتة التي تأتي من تنزانيا وقرون الفانيليا التي تأتي من مدغشقر، إلى التعبئة والتغليف التي تستخدم الأخشاب من بافاريا، أخذت شوكولاتة "النسمة" فكرة الفخامة وتماشت معها. يقول: "نحن نصنع الشوكولاتة بأيدينا". "هذه هي الطريقة القديمة والجيدة لصنع الشوكولاتة".

تُعرَض منتجات "النسمة" الآن في المتاجر الكبرى ومحلات الأسواق الحرة بالمطارات في جميع أنحاء العالم، في أي مكان قد تُباع فيه ألواح شوكولاتة بقيمة 10 دولاراتٍ. إنهم يقدمون الشوكولاتة الداكنة والشوكولاتة بالحليب وكذلك التمور، بالإضافة إلى النكهة العربية (مع الهال)، والبرتقال-المكاديميا وعددًا كبيرًا من المكسرات. أفضل النكهات مبيعًا؟ البرالين المُكسَّرات المحلاة. أفضل مجموعة عملاء؟ عشّاق الشوكولاتة اليابانيون خلال موسم Giri Choco، وهو ما يعني "الشوكولاتة الإلزامية".

يقول مارتن: "الكثير من الناس يشترون [الشوكولاتة] كهدية فريدة وقيّمة، لكنهم بعد ذلك يذهبون إلى المنزل ويأكلونها، ويجدون أنها شوكولاتة رائعة". "ثم يتصلون بنا".

نكهتي المفضلة؟ حتى الآن هي النكهة العربية. تمتزج بشكل رائع مع الحليب، وطعمها يذكّرك... بالمنزل.

أما بالنسبة للإبل؟ لقد أصبحتُ متعلّقةً جدًّا بها حيث لا يمكنني أكل لحومها بعد الآن.

لكن الحليب؟ أنا مقتنعة تمامًا به.

سارة البسام كاتبة وباحثة ومستشارة ومحبة جديدة للإبل. تعيش في الخُبر في المملكة العربية السعودية. المصوّر الصحفي **حاتم عويضة** (oweida@gmail.com; @oweidamamann) يقيم في الظهران في المملكة العربية السعودية، حيث يعمل مصورًا فوتوغرافيًا في فريق الإنتاج الإعلامي في أرامكو السعودية

المقالات ذات الصلة على الموقع الإلكتروني aramcoworld.com
المطبخ السعودي: J/F 99
ألبان الإبل الموريتانية: N/D97

TOP LEFT: RALF BAUMGARTEN / AL NASSMA; LOWER RIGHT: RICHARD DOUGHTY

الإبل والثقافة في صُوَر

مقدمة بقلم بيتر هاريجان

منذ أن أصبحت الإبل تدريجيًا تقوم بخدمة الناس في المناطق القاحلة في شبه الجزيرة العربية وأفريقيا وآسيا قبل حوالي 4000 عام، وهي لا تزال تثير الإعجاب نظير ما تقدمه من خدمات للإنسان. فلقد كان لتدجينها، الذي أتى متأخرًا مقارنةً بأنواع الحيوانات الأخرى، تأثيرٌ عميق على مجتمعات هذه المناطق الشاسعة من خلال تبادل الأفكار وتفاعل اللغات وكذلك الثقافة المادية وغير المادية. لقد وفرت، للمرة الأولى، وسيلة فعّالة للسفر لمسافات طويلة للتجار والهجرات الموسمية للقبائل. ومع مجيء الإسلام في القرن السابع الميلادي، تطورت شبكة معقدة من طرق التجارة والحج التي تربط بين المناطق البعيدة من العالم المعروف.

كانت النتائج ذات أهمية كبيرة مثل تلك التي واجهتها مؤخرًا مع ظهور التلغراف، ومحرك الاحتراق الداخلي، وفي الآونة الأخيرة، الإنترنت.

هناك نوعان من أنواع الإبل المستأنسة، ويمكن التعرف عليها بسهولة. النوع أحادي السنام ويبلغ عددها حوالي 27 مليونًا في جميع أنحاء العالم، مما يجعلها الأكثر عددًا. كما أن لهذا النوع أكبر مجموعة متنوعة من السلالات، التي يبلغ عددها 90 سلالة على الأقل. السلالة المعروفة باسم الجمل العربي (Camelus dromedarius)، تعيش في الأراضي الصحراوية الحارة في شبه الجزيرة العربية، والشام، وشمال أفريقيا، والقرن الأفريقي.

والسلالة الأخرى ثنائية السنام، الجمل ذو السَنَامَيْن (Camelus bactrianus)، ويبلغ عددها حوالي ثلاثة ملايين. وتعيش في الأراضي الصحراوية الباردة والسهوب في آسيا الوسطى ويوجد منها 14 سلالة معروفة.

لقد انقرضت الأسلاف البرية من الجمل العربي والجمل ذو السَنَامَيْن. ويستخدم علماء الآثار وعلماء الوراثة الآن تقنيات أكثر تطورًا لاكتشاف أدلة ضئيلة ومستعصية عن قصة هجرتها التطورية وتدجينها وانقراض أنواع الأجداد. النوع الوحيد الباقي اليوم من الإبل البري هو الجمل ثنائي السنام (Camelus ferus)، المعرّض للانقراض والذي يتواجد منه حوالي 1000 رأس في صحراء جوبي بشكل رئيس.

تستمر الدراسات على الأنواع الثلاثة في الكشف عن عجائب التكيف والخصائص والإمكانات. فعلى سبيل المثال، من الممكن أن تشرب الإبل البرية ثلجًا مائعًا يحتوي على ملح أكثر من مياه البحر (ويبدو أنها لم تتأثر بعقود من التجارب النووية التي أجريت في بيئتها المحمية الآن). يحتوي حليب الإبل على جزيء مثل الأنسولين، وهو مليء بالأجسام المضادة والإنزيمات، يعمل على خفض الكولسترول لدى البشر، ويمكن أن يستهلكه الأشخاص الذين يعانون من الحساسية تجاه حليب البقر. وتفحص الدراسات حاليًا الغلوبولين المناعي لحليب الإبل بحثًا عن احتمال مكافحته لمرض السرطان.

تشتمل التكيُّفات البيئية للإبل على عدة ميِّزات، فمثلًا نطاق درجة حرارة الدم لا يختلف عن نظيره لدى الزواحف، وهذا يساعد الإبل على تحمل درجات الحرارة القصوى. بالإضافة إلى ذلك، نظرًا لأن الجفاف يثخن دم الإبل، فإن خلايا دمه الحمراء تطول في الشكل، مما يتيح لها التدفق باستمرار. لمساعدة الإبل على الاحتفاظ بالماء، يمكن للخلايا أن تتوسع إلى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمها الأصلي، وهذا أكثر بكثير من تلك الموجودة في أي حيوان ثديّ آخر (وهذا ما يسمح للإبل بشرب ما يصل إلى 120 لترًا في 10 دقائق - سعة أكبر من خزان الوقود في مركبة كبيرة الحجم، ولا تستغرق وقتًا أطول من أجل "التزود بالوقود"). وفيما يتعلق بقدراتها على السير، يمكن للإبل المرتوية السفر، مع اتخاذ الوقت الكافي للرعي، لمدة تصل إلى أسبوع أو أكثر بدون ماء، ويمكن أن تقطع مسافة أكثر من 600 كيلومتر في خلال هذه المدة.

تجربة ركوب الجمل هي أيضًا تجربة فريدة من نوعها. لقد سافر المستكشف والكاتب إلدون روتر على ظهر جمل في غرب وشمال شبه الجزيرة العربية في عام 1926. وخلال الأشهر الحارة، كان السفر في الصحراء في أفضل حالاته خلال ساعات الظلام معتدلة الحرارة، ويصف روتر تجربة السفر المدهشة مع استمرار الإبل في السير حتى طلوع الفجر. وكتب في كتابه المشهور، The Holy Cities of Arabia أو "المدن المقدسة في الجزيرة العربية"، قائلًا: "يبدو للراكب على متن حيوان على ارتفاعٍ عالٍ، أنه يتزحلق بصمت أو يسبح فوق سطحٍ مرن غير مستقر".

على النقيض من ذلك، فقد تناول الكثير من الأدب الغربي الآخر الإبل العربية النمطية على أنها غريبة الأطوار أو عدوانية أو صاحبة مزاج سيء، في حين أن أي شخص يعرف الإبل العربية ويعمل معها يعتبرها ذكية، واجتماعية، ولطيفة.

> "ومن المؤكد أن الإبل مكّنت من انتقال العادات والتقاليد شفهيًا"

كانت هذه الخصائص والصفات في الجمل العربي معروفة بعمق في الأراضي العربية منذ آلاف السنين، حيث كانت الإبل تشكّل المواضيع الرئيسة في الشعر العربي والقصص والمفردات والاستعارات والأمثال والدعابات. ومن المؤكد أن الإبل مكّنت من انتقال العادات والتقاليد شفهيًا. وغالبًا ما تتضمن قصائد الشعر التقليدية وصفًا ومديحًا متقنًا يصف المطيّة الجيدة حيث يذيع صيت الشاعر أو راوي القصص بين الجماهير بقدرٍ كبير.

اليوم، يُحتفل بالجمل العربي على نحوٍ متزايد في جميع أنحاء المنطقة لإحياء هذا التراث الثقافي، والاحتفاء بهذه العلاقة التاريخية والإنتاجية والتعايشية بين الرعاة والمربين وإبلهم.

مصدر الصورة
LARS BJURSTRÖM

يقف ممدوح إبراهيم الرشيدي أمام واحد من عشرات الوجوه المنقوشة على الأحجار في الصحراء النائية بالقرب من الشويمس في منطقة حائل في المملكة العربية السعودية. يُظهر هذا الجدار الإبل الكبيرة والصغيرة، والمقطعة، والمنحوتة، والمكشوطة في الصخور بواسطة الحرفيين من العصر الحجري الحديث. توجد منسوجات صوفية مزركشة تصور الحيوانات الأخرى وكذلك الأشخاص. تعرّف الرشيدي، مدير مدرسة في المنطقة، على الأفاريز من البدو في عام 2001 وأبلغ هيئة الآثار بوجودها.

على الصعيد العالمي، يبلغ عدد الإبل اليوم أقل من واحد في المئة من الحيوانات المستأنسة آكلة الأعشاب والنباتات (يبلغ عدد الأبقار والماشية ملياري رأس). بينما تعيش الأبل في المناطق القاحلة في أفريقيا - وخاصةً في القرن الأفريقي - ويبلغ عددها أعلى مستوياته وهو في ازدياد، حيث يتم تربيتها ورعيها كمصادر قيِّمة ومستدامة للغذاء والمواد؛ حيث تشير التقديرات إلى ما يصل إلى 20 مليون رأس، أو ما يقرب من 80 في المئة من عدد الجِمال العربية في جميع أنحاء العالم. يبلغ عدد الجِمال العربية في شبه الجزيرة العربية حوالي 1.5 مليون رأس، والعلماء في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة يتصدرون مجال الأبحاث المتنامية حول الإبل.

يقول برنارد فاي، خبير الإبل في منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، إن الإبل: "بفضل قدرتها على التكيُّف مع التحديات الحالية الناشئة عن تغيُّر المناخ، فهي تمثل نموذجًا بيولوجيًا رائعًا للعلماء من مختلف التخصصات". ويضيف قائلًا: "تستحق مكانة الإبل في العالم إعادة تقييم في ضوء الاتجاهات والإمكانات، بما فيها جودة الحليب واللحوم، وكذلك الوعد بمنتجات مشتقة جديدة". وأردف قائلًا: "من المثير للإعجاب أنه لم يُقدِّم أي حيوان مستأنس للبشر هذا القدر من المنفعة والسعادة والقيمة كما يقدمها الجمل". 🌐

بيتر هاريجان هو محرر مساهم وكاتب بارز في أرامكو وورلد، بالإضافة إلى أنه مؤسس ومدير تحرير Medina Publishing.

رحَّالة الصحراء خارج منطقة دوز، تونس، 1969. بينما كانت الإبل تستخدم في شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين، فإنها لم تدخل حيز الاستخدام في الحياة اليومية في شمال أفريقيا حتى أوائل القرون الميلادية. ازدهرت الشبكة العظيمة لطرق قوافل الإبل عبر الصحراء منذ صدر الإسلام في القرنين الميلاديين السابع والثامن حتى العهد العثماني في القرن التاسع عشر.

مصدر الصورة
FERDINANDO SCIANNA/MAGNUM PHOTOS

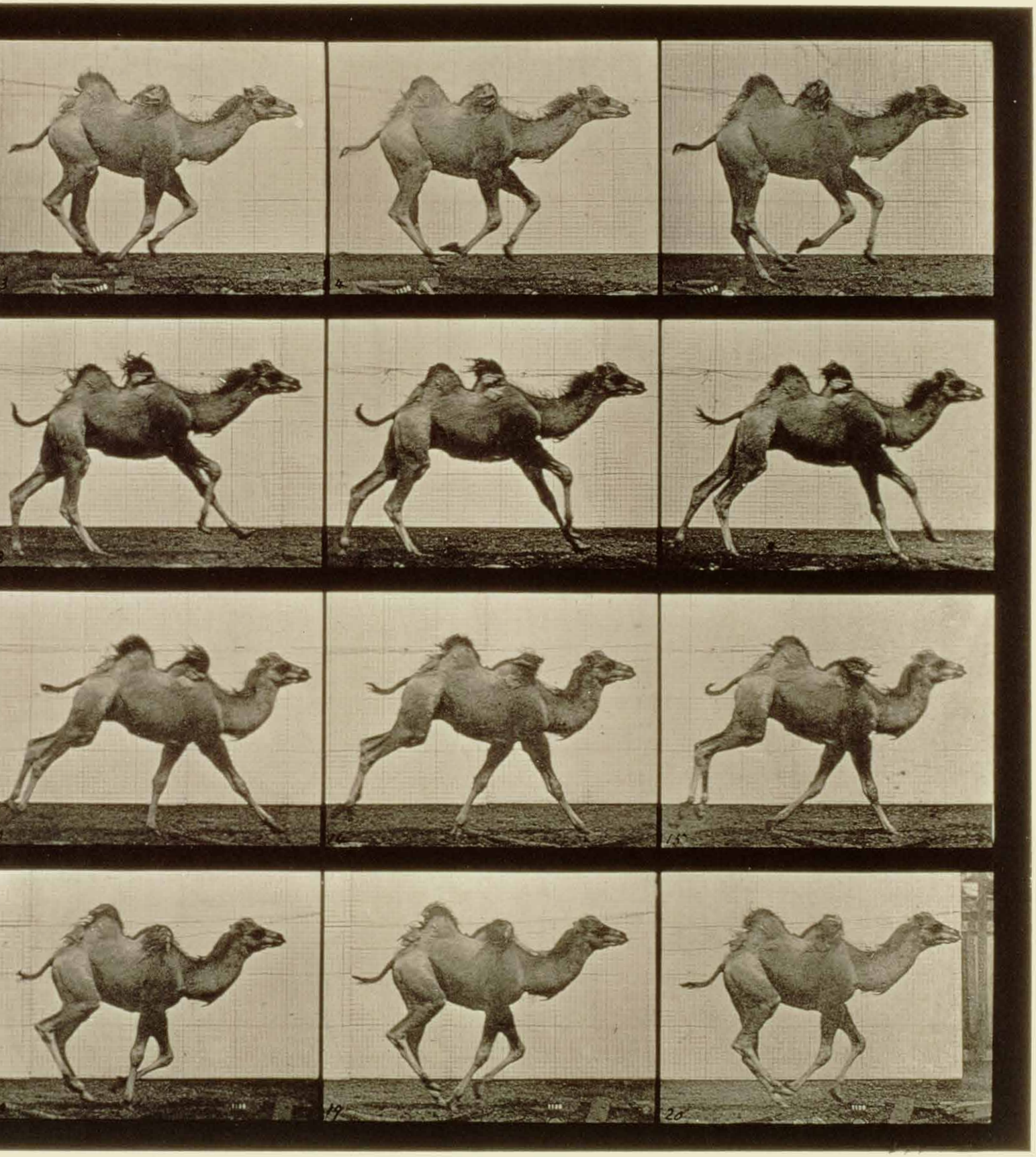

1254—89.

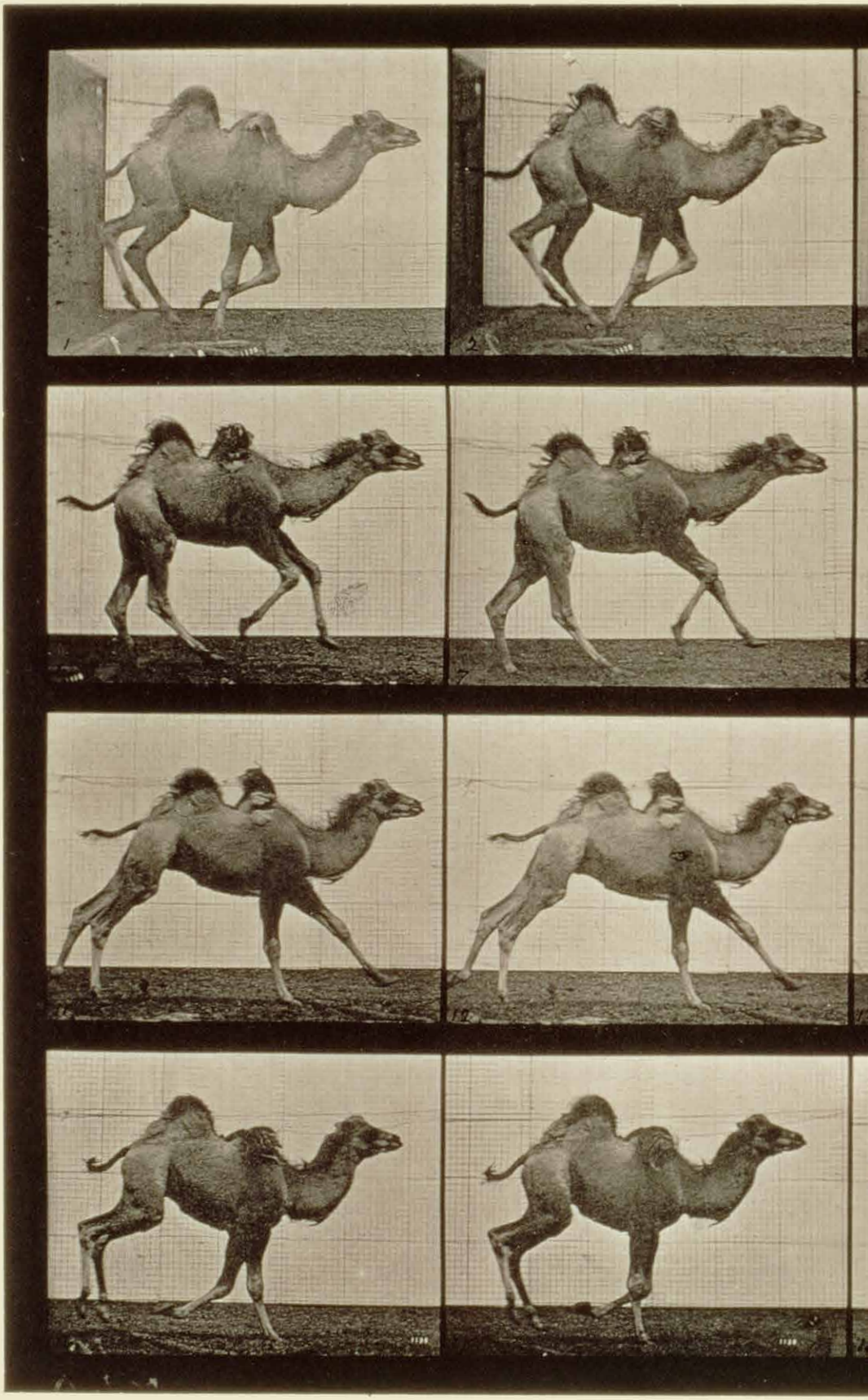

مصدر الصور

EADWEARD MUYBRIDGE /
PRIVATE COLLECTION / STAPLETON
COLLECTION / BRIDGEMAN IMAGES

استخدم المصور الفوتوغرافي البريطاني والمصور السينمائي والمخترع، إدوارد مويبريدج، في دراسته الرائدة في التصوير الفوتوغرافي "Animal Locomotion" أو "الحركة لدى الحيوان"، بين عامي 1884 و1887، أسلاك تحديد خصائص الحركة لتشغيل كاميرات متعددة لالتقاط مراحل الحركة. وكانت الإبل من بين العديد من الحيوانات وكذلك البشر الذين وثَّقهم. وقد أدى عمله إلى دراسات متقدمة في علم وظائف الأعضاء وعلم الميكانيكا الحيوية.

مصدر الصورة
EUGENE TAN/
AQUABUMPS

يُعد الركوب على ظهر جمل ضمن قافلة جمال على طول الشاطئ وقت الغروب حدثًا سياحيًا يوميًا في بروم، أستراليا. تم جلب الإبل لأول مرة إلى أستراليا في القرن التاسع عشر لدعم البناء في وسط وغرب البلاد. وحلّت السيارات محل الإبل في أوائل القرن العشرين، وانزوت الإبل في المناطق النائية، حيث تكاثرت، ويبلغ عددها الآن حوالي 300 ألف رأس.

مصدر الصورة
MATTHIEU PALEY

فتاتان تغطيان نفسيهما ضد برد الشتاء في جبال بامير الأفغانية تقفان إلى جانب جمل ذو سَنَامَيْن. من بين البدو الرُحّل وشبه الرُحّل في المناطق المرتفعة بآسيا الوسطى، تُستخدم القطاس (ثيران التيبت) المستأنسة أيضًا، مع الإبل، لحمل الأغراض. هؤلاء الفتيات يستخدمن إبلهن لحمل مياه الشرب لعائلاتهن. بإمكان الإبل ذات السَنَامَيْن تحمُّل أقصى درجات الحرارة والبرودة أكثر من الإبل العربية أحادية السنام.

مصدر الصورة
LORRAINE CHITTOCK

بعد عشرة أيام من رحلة مدتها 30 يومًا، وقطع مسافة 1250 كيلومترًا من دراو، في محافظة أسوان المصرية، إلى دُنْقُلا، في شمال السودان، ينقل الرعاة القطعان عبر درب "الأربعين" الذي يصل عمره إلى 600 سنة، أحد أقدم طرق التجارة في أفريقيا. اليوم، أصبحت القطعان أصغر، والطريق أقصر، وبدلًا من حمل السلع التجارية على ظهور الإبل، فإن الإبل نفسها أصبحت هي السلعة الآن، لكن مهنة الرعي لم تتغيَّر كثيرًا: الأيام الحارة، والليالي الباردة، والصحراء التي لا ترحم هي نفسها.

الصور مقدمة من
UNIVERSAL POSTAL
UNION AND ALAMY

استخدمت الدول في جميع أنحاء العالم تصميمات الطوابع البريدية لتسليط الضوء على التاريخ والثقافة. تمثل الطوابع هنا عينة عن كل من صوّر الإبل، وهي تختلف باختلاف البلدان التي تصدرها.

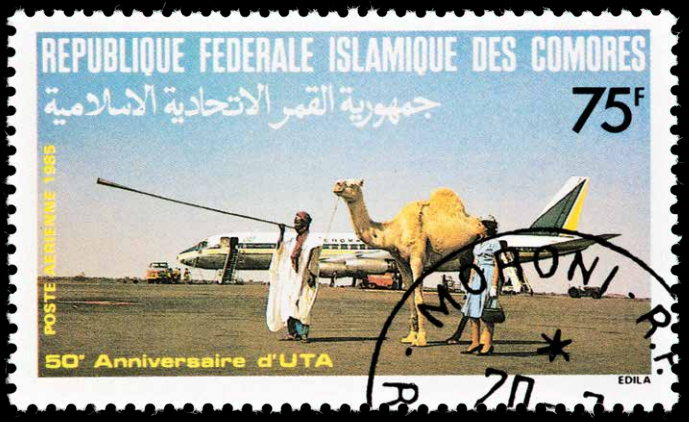

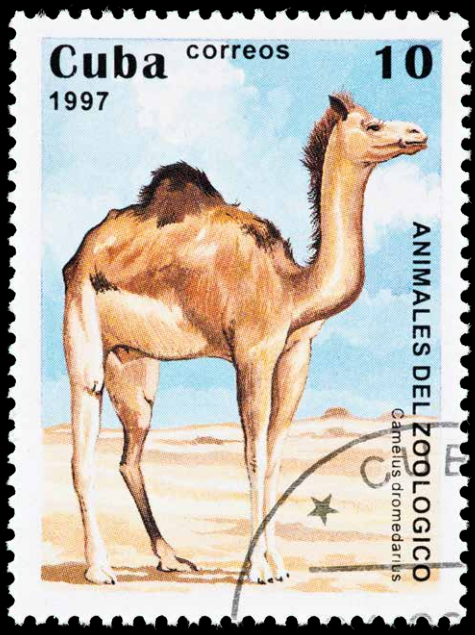

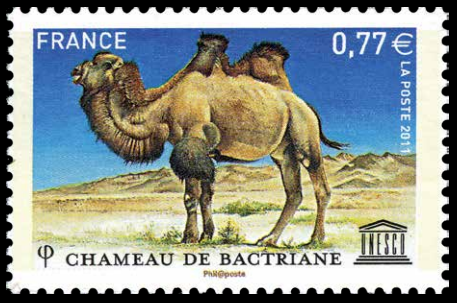

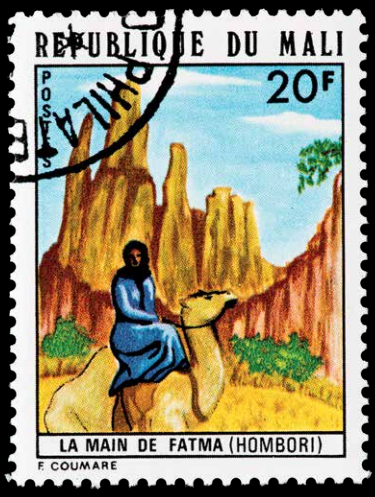

ČESKÁ REPUBLIKA
21 Kč
Alois Musil 1868 - 1944

JOURNÉE MONDIALE DU TOURISME
19 AFS
POSTES AFGHANES 1984

10 +5 CTS
CORREOS
PRO-INFANCIA 1960
F. N. M. T.

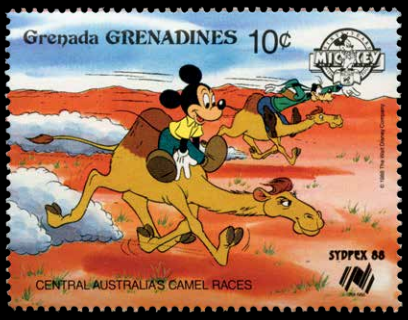
Grenada GRENADINES 10¢
MICKEY
CENTRAL AUSTRALIA'S CAMEL RACES
STYPEX 88

AFGHAN POST 1997
AFS
1500
Camelus ferus bactrianus

ПОЧТА 1995
Туя Camelus ferus (Bactrianus)
600
UZBEKISTAN

30¢
TERRITOIRE
DU NIGER
AFRIQUE OCCIDENTALE FRANÇAISE

1852-1952
12AS CENTENARY 1ST POSTAGE STAMP

1854 1954
1A INDIA POSTAGE

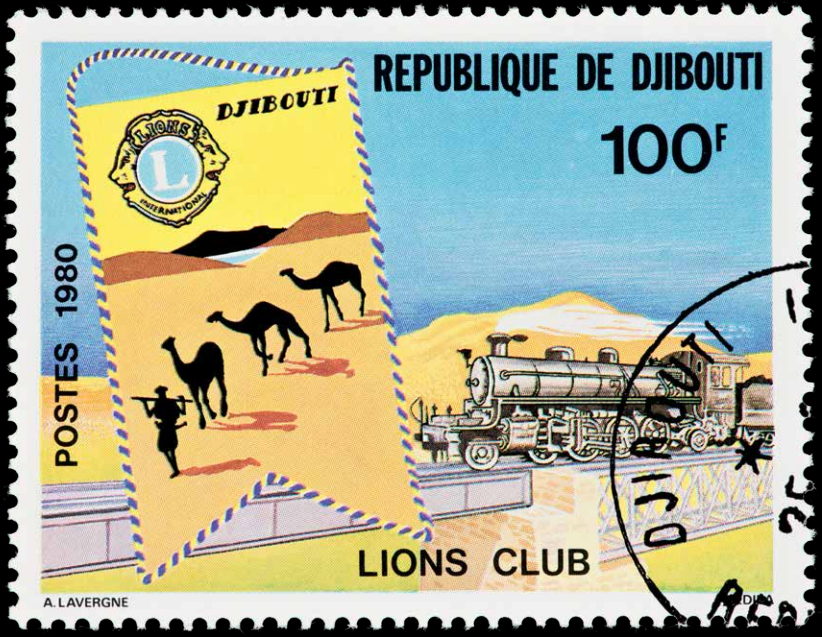
REPUBLIQUE DE DJIBOUTI
100F
DJIBOUTI
POSTES 1980
LIONS CLUB
A. LAVERGNE

25USA

مصدر الصورة
SHARMA / ALAMY

الإبل التي تم حلقها وصبغها في تصميمات قد يستغرق تنفيذها ما يصل إلى ثلاث سنواتٍ، تُظهر ما يمكن أن يقدمه بعض من أفضل الحرفيين في العالم الذين يقصُّون وبر الإبل في مهرجان بيكانير للإبل في راجستان بالهند، حيث ينضم إليهم الآلاف من الجماهير. تشمل الفعاليات الأخرى للمهرجان الذي يستمر يومين، رقص الإبل، وتزيين الإبل، والعروض الثقافية.

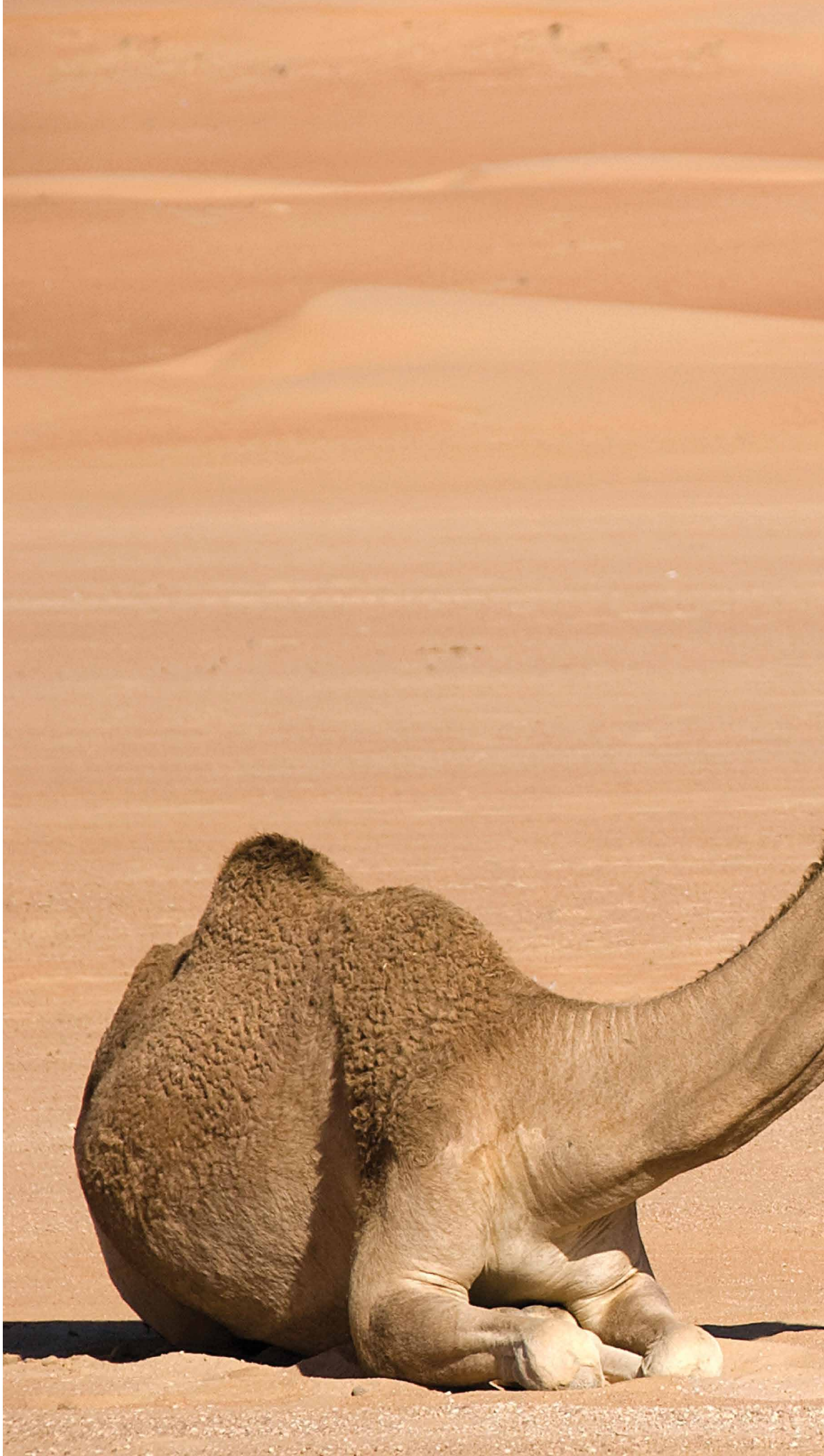

مصدر الصورة
AJANSEN / ISTOCK

ليس بعيدًا عن المكان الذي تم فيه تدجين الجمل العربي لأول مرة منذ 3000 إلى 4000 عام في جنوب شبه الجزيرة العربية، حوارٌ حديثُ الولادة وأمّه في منطقة رملية في سلطنة عمان. يرضع الحوار من أمّه لمدة 12 إلى 18 شهرًا، وعند بلوغ عامه السابع يُصبح كامل النمو.

مصدر الصورة
MARIN TOMIC

يقول المصوِّر الفوتوغرافي، مارين توميك، الذي شاهد هذا الجمل العربي وجهًا لوجه خلال رحلة بالسيارات في دبي: "أحب الطريقة التي يوحي بها مظهر الإبل الذي يعبر عن الفخر والتلميح بالابتسامة"

فعاليات الإبل حول العالم

▲ **الرحية، المملكة العربية السعودية**

مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل هو مهرجان مدته شهر ويوفر منصة ثقافية وسياحية ورياضية وترفيهية واقتصادية للمهتمين بالإبل وتراثها، ويتألّف من سباق الهجن ومسابقات مزاين الإبل وقصائد الشعر المخصصة لهذه الثروة الحيوانية الثمينة للغاية.

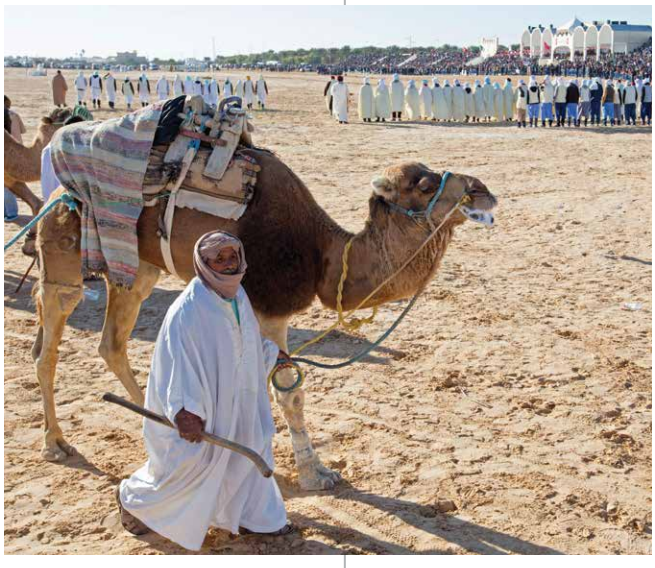

بيكانير، الهند ◀

يتضمن مهرجان بيكانير للإبل عروضًا للإبل، ورقصها، وسباقات الهجن، وركوبها.

◀ دوز، تونس

المهرجان الدولي للصحراء الكبرى يوفِّر للحضور رحلة طويلة على ظهر الإبل، ويشمل ألعابًا بدوية ومشاهد لحفلات زفاف تقليدي، وسباقات الخيول، ومشاهد ألعاب القتال التقليدي على ظهور الإبل العربية.

جنوب غوبي، منغوليا ◀

يجذب "مهرجان الألف جمل" (The Thousand Camel Festival) الانتباه إلى الجمل ذي السَنَامَيْن في حدث يستمر يومين يسلط الضوء على السباقات والألعاب والموسيقيين والراقصين المنغوليين التقليديين، فضلًا عن الزيارات إلى مواقع الحفريات والمواقع الثقافية.

▲ بوشكار، الهند

في معرض بوشكار للإبل الذي يستمر لمدة أسبوع، فإن عامل الجذب الرئيس هو تجارة الجمال وسباق الهجن.

▶ أليس سبرينغز، أستراليا

"كأس الهجن" هو سباق هجن من أجل المتعة والترفيه، يجذب المتفرجين من كل مكان.

▲ تكساس، الولايات المتحدة الأميركية

فعاليات إعادة التجسيد التاريخية التي تنظمها Texas Camel Corps طوال العام تعيد للأذهان ما كانت عليه تكساس في منتصف القرن التاسع عشر.

مدينة زايد، الإمارات العربية المتحدة

مهرجان الظفرة عبارة عن فعالية تستمر لمدة أسبوعين وتتضمن سباق الهجن، ومسابقة مزاين الإبل، وقرية للأطفال، وسوق تقليدي، وورشة عمل فنية.

سلجوق، تركيا

يشهد مهرجان مصارعة الإبل السنوي منافسات بين جَمَلين يحاول كل منهما دفع الآخر. يستقطب المهرجان التاريخي أكثر من 1200 رأس من الإبل.

زعفران، تونس

يشتمل مهرجان زعفران الدولي على "سباق الإبل"، وهو سباق هجن تمتطيها فرسانها، ويهتف المتفرجون للمتسابقين وهم يلاحقونهم على دراجاتهم النارية.

تُنشر أرامكو وورلد باللغة الإنجليزية كل شهرين في إصدار مطبوع وعلى شبكة الإنترنت وفي إصدارات متوافقة مع الكمبيوتر اللوحي/الجوال، وتُنشر رسالة إخبارية عبر البريد الإلكتروني كل أسبوعين. تتوفر اشتراكات قابلة للتجديد لمدة عامين (12 إصدارًا) للنسخة المطبوعة مجانًا لعدد محدود من القراء في جميع أنحاء العالم.

هذه النسخة هي طبعة عربية خاصة

للاشتراك في الرسائل الإخبارية عبر البريد الإلكتروني:

www.aramco world / Subscription Services / Newsletter.

بالنسبة **للمقيمين في المملكة العربية السعودية**، يجب إرسال جميع طلبات الاشتراك وتغييرات عنوان السكن والتجديدات عن طريق البريد إلى إدارة دعم الاتصال المؤسسي، أرامكو السعودية، صندوق البريد 5000، الظهران 31311، المملكة العربية السعودية.

الإصدارات السابقة، من عام 1960 فصاعدًا، يمكن قراءتها بالكامل عبر الإنترنت وتنزيلها من الموقع www.aramcoworld.com. تتوفر النسخ المطبوعة للإصدارات التي لم يمر عليها خمس سنوات، طالما ما زالت متاحة. ويمكن طلبها عن طريق إرسال رسالة إلكترونية إلى العنوان subscriptions@aramcoservices.com، ويجب أن يكون عنوان/موضوع الرسالة "Back-issue request/ [your name]"، أو "طلب إصدار سابق/[اسمك]". سيتم توفير نسخ مجمعة من الإصدارات التي لم يتجاوز مدة إصدارها خمس سنوات، عند توفرها ودون مقابل، لاستخدامها في الفصول الدراسية وورش العمل والجولات الدراسية والمحاضرات أو غيرها من الفعاليات التعليمية غير الهادفة للربح.

أرامكو وورلد (الرقم التسلسلي المعياري الدولي 5821-1530) مجلة تصدرها شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية) كل شهرين، صندوق البريد 5000، الظهران 31311، المملكة العربية السعودية

© حقوق الطبع والنشر لعام 2019 محفوظة لأرامكو السعودية.

TOP: MOGUL TRAVEL; LEFT, UPPER: VLADIMIR SKLYAROV / ALAMY; RIGHT, LOWER: LUC NOVOVITCH / ALAMY; LEFT, LOWER: BLPHOTO / ALAMY; OPPOSITE, TOP: JASON PLEWS; LEFT: HEMIS / ALAMY; LOWER: PEP ROIG / ALAMY

الإبل والثقافة
AramcoWorld

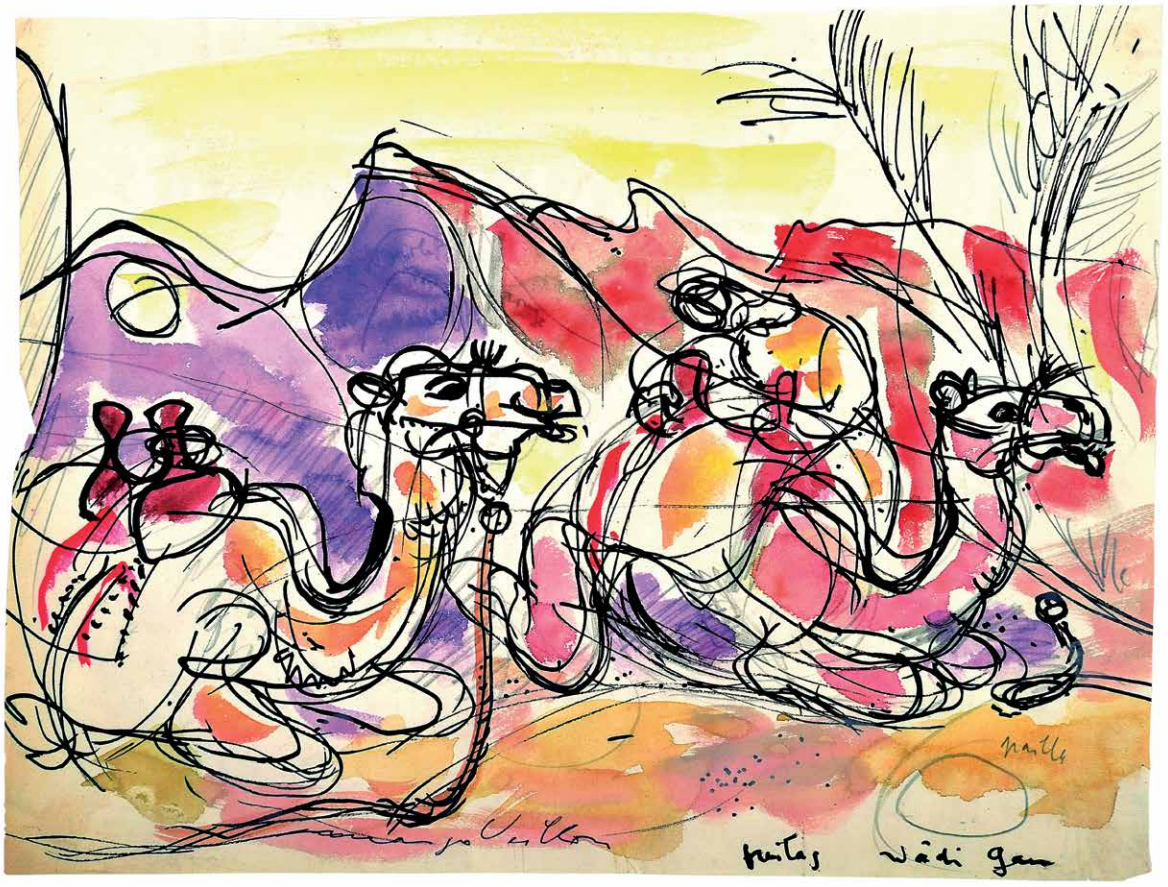

aramcoworld.com